6me Année, No . 252

Lundi - 2 - 5 - 1938

الرسالة

مجلة أسبوعية للأدب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها
ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
بشارع عبد العزيز رقم ٣٦
العتبة الخضراء — القاهرة
ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
٦٠ في مصر والسودان
٨٠ في الأقطار العربية
١٠٠ في سائر الممالك الأخرى
١٢٠ في العراق بالبريد السريع
١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات
يتفق عليها مع الادارة

العــــدد ٢٥٢ « القاهرة في يوم الاثنين ٢ ربيع أول سنة ١٣٥٧ — ٢ مايو سنة ١٩٣٨ » السنة السادسة

الفهـــرس

١٠٠٤٦

هل تقوم للأدب دولة ؟

معالى مصطفى عبد الرازق بك



صديقنا صاحب المعالى الشيخ مصطفى عبد الرازق بك وزير الأوقاف إمام من أئمة الدين ، وعلم من أعلام الأدب ، وسرى من سراة الأمة ، نشأ بحكم ولادته على النبل كما ينشأ ابن الملك على المُلك ، فهو في خُلقه وسَمْته يجرى على سَراح الطبع الجميل ، لا يتكلف ولا يتطبع ، ولا يتصنع ، ولا يقلد . وقلما تجد في مصر من ظفر بما ظفر به هو من إطباق الناس على اعتقاد سماحته وسراوته وفضله. ولعلك تدرك السر فيما تعرف من خلاله إذا علمت أن بيت

عبد الرازق نمط لا واحد له فى تقاليده وتربيته وبيئته . فهو وحده لا يزال يمثل نوعاً من الفتوة الإسلامية له خصائصه وله سننه : يرى العزة فى سمو الإنسانية فيه ، لا فى إفراط العصبية عليه ؛ ويجد المزية فى سؤدد الفكر المهذب والخلق السجيح ، لا فى سطوة المال المكنوز والجاه المتسلط ؛ ويمثل المدنية الحديثة تمثيل المعدة الصحيحة للطعام الهنيء فلا تكون إلا مدنيته الخاصة فيها سره وعليها طابعه ؛ ثم يسير فى سبيل الحياة على سَنن واضح من شهامة القلب ونزاهة النفس وشرف اللسان وثبات العقيدة وكرم التضحية ، كأنما يستجيب إلى صوت فى دمه ، ويمشى على دليل من طبعه

ساهم فى جهاد الدستور والحرية بالنفس والمال ثم عف عن الغنيمة ، وشارك فى ثقافة العقل والروح بالتشجيع والإنتاج ثم عزف عن الشهرة ، وتهافتت من حوله بيوت المجد على الأضواء الغربية الخادعة فأضل بعضها العَشا ، وأحرق بعضها اللهب ، وبقى هو على شرقيته ومصريته قوى الدعائم رفيع الذرى تَضُوع فى أبهائه نفحة الإسلام ، وتهش على موائده أريحية العروبة ، وتخفق فى جوانبه روح مصر

والشيخ مصطفى يلخص فى شمائله أمجاد هذا البيت ، فهو سر وراثته وعطر أرومته وجملة ماضيه . فإذا جلست إليه فى ألفة أو كلفة غمرك منه شعاع لطيف يملك نفسك من غير سطوة ، ويبسط شعورك من غير خفة ؛ ثم تحس فى تواضعه سمو الكبرياء ، وفى وداعته أَنَفَة العزة ، وفى بساطته جلالة النبل ؛ فلا تستطيع أن ترد هذه الخلال فيه إلى الحد الذى تواضع عليه الناس فى تعريف الخلق ؛ إنما تنتهى إلى أن شخصيته الجذابة واحدة الطراز لما تهيأ لها من أثالة المنبت وزكاوة العِرق وسعة الثقافة وسلامة الفطرة وجمال القدوة

رأيت الشيخ مصطفى طالباً فى الأزهر ، وعرفته أستاذاً فى الجامعة، وزرته عضواً في الوزارة ، فلم أجده فى كل حالة من هذه الحالات إلا على الوجه الذى لقى به الدنيا ، لم يتغير فيه لسان ولا عين ولا مَخيلة ؛ ومزية المعدن الكريم ثبات وجهه على لونه ، وبقاء جوهره على نقائه . ولو أن وجوه الناس تثبت على تقلب الحظوظ لما تنكر صديق لصديق ولا تجهَّم وطنى لوطن

* * *

لله ما كان أنبل وأجمل حين دخلت على الشيخ الوزير مكتبه فى الوزارة من غير وقفة على حاجب الباب أو جلسة لدي مدير المكتب ! لقد كان فى زيه الوطنى الجميل ملء العين والنفس والشعور ، يوزع التحيات على عادته ببسماته الرقيقة ونظراته الوديعة وكلماته الحلوة ، فيجعلك تشعر أن الوزير منك ، وأن الوزارة لك ، وأن الأمر بينك وبين أولياء الحكم كما يكون بين الأب وأعضاء الأسرة .

كان سرورى وأنا أهنىء صاحب المعالى وزير الأوقاف أقرب إلى أن يكون سروراً بنفسى ؛ فقد وقع فى وهمى أنى أساهم فى هذه الوزارة بنصيب مبهم شائع لا أجهله ولا أدريه . ولعل مبعث هذا الوهم أن الوزير أزهرى وصديق وأديب ، وصلته بالناس من جهة الثقافة أو الصداقة أو الأدب يجعلها وفاؤه الطبيعى أدنى إلى النسب الشابك والقرابة الواشجة

* * *

أما بعد فإن استيزار أميرين من أمراء الأدب لهو فتح مبين لدولة القلم . فإن النهضات العلمية والأدبية فى تاريخ الفكر لم تزدهر إلا فى حمى ملك أو كنف وزير . والوزراء الأدباء أمثال ابن العميد والصاحب ابن عباد والمهلبى وابن زيدون وابن الخطيب لا يزالون عناوين فاصلة فى تاريخ الأدب . فإذا ناط رجال الثقافة والصحافة آمالهم بوزير الخير مصطفى ، وبوزير الجمال هيكل ، فإن دلالة الحال تعلن أن مواتاة هذه الفرصة فى صباح عهد الفاروق حين صدقت النيات على الاستقرار ، وتهيأت النفوس للعمل ، إيذان من الله بتيسير السبل لأمة العلم أن تنهض ولدولة الأدب أن تقوم .

احمد حسن الزيات

في خيف منى

للدكتور الحاج عبد الوهاب عزام



هذا ثاني أيام التشريق؛ ومنى غاصّة بعمارها؛ قد اجتمع إليها الحجيج من أرجاء الأرض، واختلط فيها وفود المسلمين من كل الأقطار. تجاورت القباب واشتجرت الأطناب، وتعمجت السبل بينها تجور بالسائر، وتعدل بالسالك، إن لم يكن خبرّها وعرف بالعلامات مسالكها، إلا مَهْيعاً يتوسط البقعة تُفضي إليه المسالك فيقصد فيه السابل على بينة

زخرتْ منى بالحجيج، وازدحم الموسم بأهله. وقد أدينا بحمد الله المناسك ولم يبق إلا رمي الجمار، وهي أمر أيسر لا يشغل نزّال منى إلا قليلاً. فهناك سعة للتزاور والتعارف، وهناك فسحة لتبادل الآراء والتشاور في خطوب المسلمين

خرجت في رفاقة بعض الاخوان العراقيين أبتغي زيارة بعض الأجلاء من علماء الفرس، فلما لقيت الشيخ وبلغ الحديث منتهاه رغبت أن أرى من وجوه المسلمين وجهاً معروفاً في مجامع الحج منذ سنين لا يخلو منه موسم، ولا يجهله محفل. وقد رأيته في عرفات ضارباً خيمه على الجادة فنزلت إليه في نفر من رفقائي حجاج الجامعة وأنسنا به حيناً. وبينا أنا بالمشعر الحرام من مزدلفة رأيت خطيباً واعظاً يتكلم على جماعة باللغة الأردية، فدلفت إليه فإذا هو ذلك الوجه المعروف غير المنكر، وأنا أرجو ألا يفوتني في منى لقاؤه؛ ومضربه في منى أرفع المضارب، يلوح للسائر عالياً متميزاً تخفق عليه رايته. فليس على من يبغي المسير إليه إلا أن يذهب إلى مسجد الخيف ثم ينظر إلى سفح الجبل ليرى فسطاطاً كبيراً قد احتل من السفح مستوى لايتسع لغيره، فليس هناك فسطاط سواه. فإذا تأمله أبصر الراية الأفغانية فعرف أنه منزل السيد محمد الصادق المجددي

أخذت سمت المكان حتى قاربت المسجد فلقيني جماعة من حجاج الجامعة والأزهر فصعدنا إلى الفسطاط في شَرَف يطل على الموسم كله وينظر إلى مسجد الخيف من كثب. لبثنا قليلاً ثم هبطنا إلى فجوة بين الصخور تُسمى غار المرسلات؛ يقال إن السورة الكريمة «والمرسلات عرفا» أوحيت إلى صاحب الرسالة صلوات الله عليه هناك. وقد اجتمع الناس يمنعهم الشرطة من الدخول إليه والتمسح به كما كانوا يفعلون. فوقفنا وقفة قضينا بها حق الذكرى العظيمة، ثم سرنا مُصعدين في الجبل وهو جبل شاهق أدكن عظيم الصخور كثير القَلَع[1]. فما زلنا نصّعد حتى لاح لنا الموسم جميعه، وزُويت لنا أطرافه؛ فيالك مشهداً جميلاً رائعاً! فهذا مسجد الخيف وهو مسجد بريّ معطل من الزينة وفراشه الحصباء: بناء كبير تحيطه جدران مديدة بيضاء، يتوسط صحنه الفسيح مصلى عليه قبة ومنارة، وفي جانبه القبلي سقيفة على ثلاثة عقود. وقد راقني منظره من سفح الجبل تتجلى فيه فطرة الاسلام وطبيعة البداوة

وهذا المحصّب عن شمالنا حيث العقبات الثلاث التي ترى فيها الجمرات. وإلى اليمين يمتد وادي منى بين سطرين من الجبال الشاهقة يساير فيه الطرفُ أسرابَ الخيام إلى أن يكلّ. وهناك تبدو دار الملك عبد العزيز التي ينزلها أيام الموسم. وهنالك بناء أبيض يلوح بين الأشجار هو (السبيل) المصري: مورد عذبٌ يستقي منه الحجاج، يزدحمون عليه النهار كله وطرفاً من الليل. وإنها لبرّة عظيمة

وأما الجبل الشامخ الذي يمتد على جانب الوادي الأيسر فهو ثبير. وكم ردد التاريخ والشعر ذكر ثبير!

ترادفت الذكر وتوالت العبر في هذه البقعة المقفرة التي تخصب بالجماعات كل عام منذ عهد الجاهلية، فكأني بالقبائل تلتقي تتناشد الأشعار، وتتفاخر بالاحساب، ويضعون عنهم العداوة والحرب إلى حين، وقد تغلبهم الضغائن فيفجأ بعضهم بعضاً غير مراعين

(١) القلع: الصخور الكبيرة تقلع من الجبل

حرمة الشهر والمكان كما أغارت هوازن على خزاعة بالمحصَّب من منى فقال أحد بنى عدوان :

غداة التقينا بالمحصَّب من منى … فلاقى بنو العنقاء إحدى العظائم

وكأنى بهم ينحرون ويذبحون ويضيفون ويطعمون ، ويشرّقون بقايا اللحم على سفح الجبل .

وكأنى بفتيان قريش وشعراء مكة فى الجاهلية والاسلام يقضون حق المكارم والفتوة ؛ يضيفون ويطعمون ويشيدون بالمفاخر ويتناشدون الشعر ويتناقلون الأخبار ، ويترع بهم الشباب فيتغزّلون ويرون فى الموسم على جلاله وحرمته شملا من الأحبّاء يجتمع ، وشملا يفترق، فيشيد الشعر بفرحة اللقاء ولوعة الفراق ، فهذا عمر بن أبى ربيعة يقول :

نظرت إليها بالمحصَّب من منى … ولى نظر لولا التحرج عارم
فقلت : أشمس أم مصابيح بيعة … بدت لك خلف الستر أم أنت حالم
بعيدة مهوى القُرط إما لنوفل … أبوها و إما عبد شمس وهاشم

ومن قبل تذكر المجنون فى هذا المكان ليلاه :

وداع دعا إذ نحن بالخَيْف من منى … فهيج أطراب الفؤاد ومن يدرى
دعا باسم ليلى غيرها فكأنما … أطار بليلى طائراً كان فى صدرى

وهذا العرجىّ — وغفران له — يقول :

فى الحج إن حجت وماذا منى … وأهله إن هى لم تحجج ؟

وأما أقول ما قال عطاء حين استوقفه ابن سريج فغنّاه أبياتاً منها بيت العرجى قال :

« الخير كله والله عنى ، لا سيما وقد غيبها الله عن مشاعره »

والعرجىّ هو القائل :

عوجى علىّ فسلمى جبرُ ! … فيم الوقوف وأنتم سَفر ؟
لا نلتقى إلا ثلاث منى … حتى يفرّق بيننا النفر

ورحم الله جريراً ! كان أرشد من هؤلاء : لقيه الفرزدق بمنى فأنشده :

فانك لاقٍ بالمنازل من منى … فخاراً ؛ فخبرنى بمن أنت فاخر ؟

فقال جرير : « لبيك اللهم لبيك »

نبهتنى تلبية جرير فقلت : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك الخ كم فى هذه الخيام من قلوب وردت هذه المشاهد ورود القطا الظماء ! وكم من نفوس هجرت خفض العيش إلى مشقة الأسفار ، وغربة الديار، لتنعم بالذكر والتوبة فى هذه البقاع المقدسة .

لو نفض كل قلب هنا آماله وآلامه لسامت هذه الجبالَ جبالٌ من أحزان البشر وأمانيهم حملها أصحابها إلى سدّة الخالق العظيم يستغفرون ويتضرعون ، ويسترحمون ويتذللون . سرائر لو اجتمعت فى هذه الساعة لتمثل فيها تاريخ البشر . لو اجتمعت ! لو تشاكى أصحابها وتناجى أربابها ! لو تشاكى المسلمون فى هذه البقعة وبث بعضهم لبعض خبايا قلبه ، وتشاوروا فيما يحز بهم ! أجل ، هذه خيام مجتمعة ، وجماعات مختلطة ، وبينها تعارف وتزاور ، ولكن أين هذا مما يريد الاسلام ونريد ؟ لا بدّ أن ييسر لكل حاج السير والزيارة ، ويمكَّن من أن يلقى من يشاء حين يشاء . إن مئات الآلاف من الحجاج لا تتيسر لهم مقاصدهم ولا تُكفل راحتهم إلا فى نظام دقيق وترتيب حسن . وذلك لمن شاءه جدُّ يسير . وعلى المسلمين جميعاً أن يعملوا له . لماذا لا يكون فى منى مجمع مسقوف يسع الحجاج جميعاً يقفون أو يجلسون فى راحة ونظام ، فيسمعون جميعاً إلى الخطباء من زعماء المسلمين يرفعون أصواتهم بالمجاهر ! لماذا لا يكون هناك مدرّج ينحت فى الجبال ليسع الألوف المؤلفة ؟ هذا أمر حتم لا بد أن تتخذ له الأهبة .

طالت بى الوقفة وأصحابى على مقربة منى ! فقلت : هذا أمر له غير هذه الوقفة . ثم التفتُّ فإذا أعرابى بجانبى تفترّ شفتاه عن أسنان ناصعة وفى فمه عود

قلت : ما هذا ؟ قال : بشام . قلت ، الذى يقول فيه جرير :

أتذكر إذ تودّعنا سليمى … بفرع بشامة ؟ سُقى البشام

قلت : وما هذا ؟ مشيراً إلى شجيرة صغيرة من الشجر الذى يسمى السنط فى مصر . فقال : سَلَم . فتذكرت قول القائل :

ويوماً توافينا بوجه مقسم … كأنْ ظبية تعطو إلى وارق السلم

وقول الحجاج : والله لأعصبنكم عصب السلَمة الخ

قلت : أتستطيع أن تأتينا بأعواد من البشام ؟ قال : إنه على الربع الآخر، وأشار إلى الجبل يعنى سفحه الآخر. فتذكرت الآية الكريمة : « أتبنون بكل ريع آية تعبثون» والريع المكان المرتفع قلت لأصحابى : لو اتسع الوقت لأخذنا كثيراً من اللغة عن هذا الأعرابى . فمن كان يظن أن هذه ألفاظ ميتة فى المعاجم فليعلم أنها لا تزال حية فى أفواه كثيرمن العرب . وحان الرجوع فرجعنا إلى الخيام

عبد الوهاب عزام

أبو العلاء حرب الظالمين

للأستاذ جليل

من (عبقرية) نابغة العرب أبو العلاء حَرْبُ الظالمين [١] وعدوُّ المستبدين، ونصير البائسات والبائسين، وخصيم المترَفين والباخلين، ومقرِّع المستكبرين والمدَّعين، ومجلُّ التواضع والمتواضعين، ومهجِّنُ الشراب الحرام والشاربين. وأقواله في (اللزوميات) في هؤلاء المذكورين مشهورة؛ ولم يغفل (نابغة العرب) في (الفصول والغايات) — عبقريته في النثر — عنهم. وفي الآيات البينات بعض ما قال فيهم:

— ١ —

« يا بُغاة الأنام، وولاةَ أمور الأنام، مرتع الجور وخيم، وغبُّه ليس بحميد، والتواضع أحسن رداء، والكبر ذريعة المقت، والمفاخرة شر كلام. كلنا عبيد لله »

— ٢ —

« ما بيتٌ يأتلق فيه الياقوت، وللزِّرياب [٢] حواليه شعاع، يسكنه ظالم جبار يسفك [٣] الدم، ويسفح دموع الباكيات [٤]، ويشرب كاسات الرحيق — بأعز عند الله من ناسجة الغبار [٥] فياويح جائر — إذا حكم — عات [٦]! »

— ٣ —

« إذا أصبح النصح ثقيلاً، والمساجد قالاً وقيلاً، وصارت الإمارة غلاباً، والتجارة خلاباً — فالبيت المحفور، خير لك من مشيدات القصور، والفقير أربح صفقة من ذي التاج »

— ٤ —

« إني لوَغد [١] وقد عرفت نفسي بعض العرفان، وحقرتها وهي جديرة بالاحتقار. خلقتني كما شئت، وأعطيتني ما لا أستحقه منك. ولعل في عبيدك من هو مثلي أو شر. في خزائنه بدَر [٢] اللجين والعقيان لا يطعم منها المسكين، ولا يغاث الملهوف »

— ٥ —

« إن من يفتقر إليَّ لفقير، فأغن (اللهمَّ) كلَّ مسكين. وبئس البيت المسكون، بيت تحت الغبراء [٣] يكون، لا أس له ولا عمود، إنما هو من هباء، ليس بالطِّراف [٤] ولا الخِباء [٥] ولأعمالُ الصالحات خير ما راح إليه من السوام [٦]. فكن أيها الرجل من الصالحين، وإذا رأيت الملأ [٧] يبرمون أمراً فقل: لَعِب الولدان خراج [٨] »

— ٦ —

« أطعم سائلك أطيب طعاميك، واكس العاري أجَدَّ ثوبيك، وامسح دمع الباكية بأرفق كفيك »

— ٧ —

« ما ريَّا قُطُر [٩]، ورائحة حبيب عطر، بأطيب من ثناء

---

(١) فلان حرب فلان أي محاربه

(٢) الزرياب: الذهب أو ماؤه، ويقال: صبغ يقع فيه ماء الذهب

(٣) بكسر العين وبالضم، وعن يحيى بن وثاب (لا تسفكون دماءكم) بالضم

(٤) الله أكبر! الله أكبر!

(٥) ناسجة الغبار: العنكبوت

(٦) العاتي: المتجاوز الحد في الظلم قال:

أدعوك يا رب من النار التي أعددتها للظالم العاتي العتي

(١) أأنت الوغد يا أبا العلاء فما هؤلاء الناس إذن؟ أنت إنسان كامل، أنت ملك

(٢) البدرة: كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار ج بدر وبدور

(٣) الغبراء: الأرض لغبرة لونها أو لما فيها من الغبار

(٤) الطراف: بيت من أدم، والأدم الجلد

(٥) الخباء أحد بيوت العرب من وبر أو صوف (وفي القاموس أو شعر) وقد يستعمل في المنازل والمساكن

(٦) السوام: الابل الراعية، والابل مال القوم. وفي اللسان: أكثر ما يطلق المال عند العرب على الابل لأنها كانت أكثر أموالهم

(٧) الملأ: رؤساء الناس ومقدموهم الذين يرجع إلى قولهم. الزعماء ورجال السياسة ...

(٨) خراج: الغداء: اسم لعبة لهم معروفة، وهو أن يمسك أحدهم شيئاً بيده ويقول لسائرهم أخرجوا ما في يدي، وخراج بكسر الجيم بمنزلة دراك وقطام. وفي (اللزوميات):

أرى الناس في جهولة، كبراؤهم كولدان حي يلعبون خراج

(٩) الريا: الرائحة. القطر — بضم الطاء وسكونها — العود الذي يتبخر به، وقد قطر ثوبه، وتقطرت المرأة؛ والعود في القاطر الجامس

مستطر[١] ، يُثنى به برّ على مُبر[٢] ؛ وذكر الله مراتع القلوب يستعذبه الأوّاب ، ويسكن إليه الصالحون . فاغسل الحوب[٣] بأن تتوب ، ولا تمرُكْ ذنبك بجنبك[٤] ، فتصرّ على سخط ربك، وإلى السوق تحمل الوسوق[٥] ، فما كان جيداً نفق ، وما كان رديًّا زهد فيه . وإنما أنت درهم إن اتقى وضح ، وإن فسق زاف[٦] »

— ٨ —

« خافوا الله وتجنبوا المسكرات : حمراء مثل النار ، وصفراء كالدينار ، وبيضاء تشبه الآل[٧] ، وكميتا وصهباء[٨] ، وكلّ ما أدرك من الألوان . لو كانت أقسام اللب كرهاق الحصى[٩] ، والسكرة من الجرَع بمثل ذاك لقلت : إن النّغبة الواحدة حرام . ولو هُجر أب لجناية ولد لحرم العنب لجريرة المدام . وهل لها من ذنب ؟ إنما الذنب لعاصر الجون[١٠]، ومستخرجها وردية اللون ، وحابسها فى الدّن ، ومنتظرها برهة من الدهر ، وشاربُها وردَ العطشان . فاجتنبوا ما يذهب العقول ، فبها عرف الصواب »

— ٩ —

« أحسن الفضل ما شهد به الملأ لغير شاهد ؛ إذ كان الغائب كثير العائب ، والحاضر يُلقى بالوجه الناضر ؛ والدعوى رأس مال قلما ربح تاجره وإن صدق . وأحب لابن آدم أن تكون مناقبه كمناقب الطِّرف الرائع[١] والسيف الحسام تذكر ، وهما صامتان »

— ١٠ —

« قد يكون الخمول داعياً للنباهة كالنار سترضوها باليبيس[٢] فأظهر ذلك لهباً »

* * *

أبو العلاء حسنة من حسنات سيدى وسيده (محمد) — صلى الإلٰه على محمد — هداه (كتاب الله) فكان من المهديين ومن الأئمة الهادين ، وكان (والله) رهين المحبسين أزهد الزاهدين . واستضاء بالقرآن وبلاغة القرآن فأضاءت أقواله وأشمت وبهرت الناظرين والسامعين

نوّر القرآن قولاً فعلا ، وسما صاحبه فى القائلين
إنما القرآن هدى الناطقين . إنما القرآن نور العالمين
غثّ قولٌ لم يهذبه (الكتاب)

القارئ

(١) مسطر : مكتوب
(٢) المبر : المحسن المفضل . أبر فلان على أصحابه أى علاهم وفاقهم ، ومن أحسن إلى الناس أبر على غيره
(٣) الحوب : الأثم ، الذنب العظيم ، وفتح الحاء لغة تميم
(٤) عركت ذنبه بجنبي إذا احتملته . عرك بجنبه ما كان من صاحبه كأنه حكه حتى عفاه أى لا تنس ذنبك ، ولا تستهن بخطبه ولا تمش أمره
(٥) الوسق : الحمل عامة ، والجمع أوسق ووسوق
(٦) زاف الدرهم رد لغش فيه فهو زائف
(٧) الأصمعى : الآل والسراب واحد ، السراب الذى يجرى على وجه الأرض كأنه الماء وهو نصف النهار ، وفى السراب والآل أقوال
(٨) الكميت الخمر سميت بذلك لكلفتها ، قال قوم : معرب واصله كيتة أى مخلط كأنه اجتمع فيه لونان سواد وحمرة (الصهباء) : خمر من عصير عنب أبيض
(٩) رهاق الحصى ــ بضم الراء وكسرها ــ مثل زهائه ، يقال : القوم رهاق مئة أي زهاء مئة ومقدار مئة
(١٠) الجون : الأسود المشرب حمرة

(١) الطرف : الفرس الكريم ، فرس رائع يروعك (يعجبك) بعتقه وصفته
(٢) اليبيس : ما يبس من العشب والبقول التي تتناثر إذا يبست ، أو هو عام فى كل نبات يابس

فلسفة التربيـــة

تطبيقات على التربية فى مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

« ترجع بعض أسباب « الاضراب » إلى أن الطلبة يتصورون نظام المدرسة مفروضاً عليهم ، ويتصورون أنفسهم جزءاً منفصلاً عن ذلك النظام . ! »

« لا يستطيع ذو الساعد القوى إلا أن يوجد فى المدرسة نظاماً آلياً لا روح فيه . ! »

« يجب أن يعرف الطلبة أنهم عندما يثورون ويضربون إنما يفعلون ذلك ضد أنفسهم . ! »

« لسنا نريد أولئك الأساتذة الذين يلقنون الطلبة العلم فحسب ، ولكن أولئك الذين يحدثونهم أيضاً فى أشياء كثيرة ويوحون إليهم أمثل أساليب الحياة . ! »

« من رسالة الدكتور جاكس »

٥ — النظام

تناولتُ فى المقال السابق أزمة المتعلمين العاطلين ببعض الشرح والتعليل ، وقدمت بعض ما ينبغى أن يُؤخذ به درءاً للخطر وتلافياً لنتائجه القريبة والبعيدة ، وسأتناول اليوم ناحية أخرى هامة هى ناحية النظام المدرسى وأثره فى نفوس النشء :

١ — النظام الحاضر

ولعلك تدرى ما هو النظام الحاضر وما هى نتائجه ! لعلك تعرف أن « الآلية » تغلب على ذلك النظام إلى حد خطير يجعل المدرسة غير محبوبة ، ويجعل « الإضراب » محتملاً لأهون الأسباب ! ولعلك تعلم فداحة نسبة الغياب والتأخر فى معاهدنا وكثرة ما نحتاج إليه من عقاب وخصم وتنبيه وتحذير فى كل صباح ! أجل ، ولعلك تعرف بعد هذا ما قد يحدث من هروب بالليل أو بالنهار ، ومن « تزويغ » من بعض الدروس إذا اقتضى الحال ! ومن حلول الفوضى والاضطراب إذا غفلت عين الناظر أو الأستاذ ، واختفت المهما وزال الوعيد والتهديد والرفض والانذار ! ! أجل ! ولعلك تعلم أيضاً أن المدرس قد يلقى من العناء فى حفظ نظام الفصل بعض ما يلقى من العناء فى التدريس ! وأنه يحتاج أحياناً لأن يكون شرطياً أكثر مما يحتاج لأن يكون أستاذاً ! ! لعلك تعرف ذلك كله ، ولعلك تدرك منه أن « النظام » قائم عندنا على القوة والإرهاب أكثر مما هو قائم على الرغبة والشعور ، وأن ما يشوب حياتنا خارج المدارس من فشل أو فوضى بسبب انعدام النطق فيها إنما يرجع إلى أن المدرسة لم تفلح بعد فى غرس النظام فينا وجعله دماً يجرى فى العروق قبل أن يكون مظاهر وقشوراً ! ! وإلى أنها لا تزال تبدو كريهة غير محببة ولا مغرية ، يبهظنا نظامها ، ويرهقنا عملها ، وتثقلنا واجباتها ، ولا نرى فيها بعد هذا من المتعة والنعيم ما قد يخفف من هذا الإرهاق وذلك الإبهاظ ! !

أترى لو كان الأمر على غير ما أقول : أكان الطلبة يضربون ويتركون فصولهم لمجرد استقبال زيد أو عمرو مهما قيل فى ضعف الادارة المدرسية أو الإشراف الوزارى ؟ ؟

أترى لو كان حب النظام متغلغلاً فى نفوس الطلبة : أكانوا يهددون بالإضراب كلما عنت لهم حاجة ، فإذا ما أضربوا انقلبوا إلى جماعات ثائرة متمردة ، وأعلنوا على المدرسة معاملها وأثاثها — وأحياناً ناظرها ومدرسيها — حرباً عواناً لا تبقى ولا تذر ؟

ذلك إذاً نظام آلىّ تعسفى مبغوض ! ، وتلك إذاً نتائج خطيرة تسود حياتنا الخاصة والعامة وتجعل الفشل والاضطراب نصيبنا المحتوم ؛ وإذا كان « النظام الحق » سر عظيم من أسرار النجاح تتحلى به الشعوب العظيمة كالإنجليز والألمان ، فما أحوجنا فى نهضتنا الحاضرة ومركزنا الحربى الدقيق إلى التحلى به والأخذ بروحه وتفاصيله ... ! ؟

سبيل الإصلاح

ويرى الدكتور جاكسون أن الاصلاح إنما يتأتى عن طريق تعليم الطلبة كيف يحترمون « السلطة المشروعة » إذ ما معنى أن يتملك زمامهم نفر من خطبائهم ومهيجيهم ، ويقف ناظرهم وأساتذتهم عاجزين حتى عن توجيه الكلام إليهم ؟ ؟ كذلك يجب ألا تقبل أبداً التهديد بالاضراب كوسيلة منتجة تحقق لهم طلباتهم ؛ وإنما يجب أن نعاقب الداعين إلى الخروج على سلطة الناظر عقاباً صارما رادعاً ، وألا نستجيب إلى طلباتهم إلا إذا اتخذوا فى رفعها ومناقشتها الطريق المشروع والأسلوب اللائق

بطلبة يتثقفون ويتهذبون ؛ ؛ أما نظام المدرسة الذى له ضلع كبير فى تلك الحالة الشاذة فيجب أن يتبدل بحيث يصبح أكثر مرونة ، وبحيث يشعر الطلبة أنفسهم أنهم جزء فيه لا يتجزء ! ؛ وبذلك يصبح إضرابهم موجها ضد أنفسهم ، ويصبح إخلاصهم للمدرسة خير ضامن لانتظامهم فى عملهم واحترامهم لقانونهم . ويتطلب ذلك النظام الجديد منا أن نفهم الطفل خطأه قبل أن نثور عليه ونصخب فى وجهه ؛ وأن ننشد منه الطاعة المصحوبة بالرضا والاحترام قبل أن ننشد منه الخضوع الممزوج بالرهبة والخوف ؛ وأن نعامله معاملة ديمقراطية ونعرف له حقه كعضو فى جسم حى متعدد الأعضاء ؛ وأن نقنعه بأن خطأه إنما يعود على المجتمع الذي هو عضو فيه مما قد يثير غضب هذا المجتمع عليه ؛ وأن نجعل لجسم المدرسة غاية سامية فى رأسه ونطالبه بالمساهمة فى تحقيقها كعضو فعال فى ذلك الجسم ؛ وأن ندخل فى المدرسة ذاتها من أساليب المتعة والإغراء والجمال[1] والفن ، ما نزيد فى تحمسه لها وشغفه بها حتى يعز عليه أن يتركها أو أن يعبث بجلالها ووقارها ؛ وأن نقدم له مدرسين من طراز خاص يستطيعون أن يمتزجوا بنفسه ، وأن يحدثوه فى أشياء كثيرة ، وأن يلقنوه أمثل أساليب الحياة ؛ وأن نربط مابين بيته وبين المدرســة برباط متين ، فيلتقى الناظر والمدرسون فى الآن بعد الآخر بأهله مجتمعين مع أهل زملائه فى ساحة المدرسة حيث يدور النصح والارشاد ، ويتحقق تعاون المدرسة مع البيت على نحو مأمون[2]

وأن ندفع به إلى مختلف الجمعيات المدرسية حيث توفر له مجتمعاً صغيراً له غاية ولافراده من الحقوق والواجبات والقانون والنظام ما يؤهله لأن يكون عضواً حياً فى جسم حي[3]

(١) ويلاحظ أن الكثير من مدارس الوزارة مستأجر . وبعض هذا الكثير قصور لها جلالها وجمالها التاريخيان من غير شك ولكن نظامها المدرسي والصحى لا يلائم العمل الدراسى قط . لذلك يحسن بالوزارة أن تعمل جاهدة على أن تكون جميع مدارسها من النوع المنشود .

(٢) ويحسن أن يكون ذلك عدة مرات فى العام الدراسى وأن يقوم الطلبة أنفسهم بادخال اللهو والسرور على أهليهم وأن يخطب الناظر والمدرسون فى موضوعات تتصل بتربية الطلبة ومستقبلهم .

(٣) ويوجد بعض هذه الجمعيات بالمدارس ولكن لا ينتسب اليها مع الأسف إلا القليل . ونادر جداً أن يتوفر فى هذه الجمعيات الروح الاجتماعى المنشود .

وأنْ نتيح له من ألوان الرياضة البدنية ماينمى جسمه ويقوى عضله وروحه عن نفسه ويعلمه أنّ الخسارة بحق خير من الفوز بباطل ، وأنّ المرى واحد والجميع يعملون متعاونين من أجله[1]

وأن نقدم له من الجوائز الأدبية والمادية ما يثير فيه روح المنافســة الشريفة ، ويحببه فى العمل الذى قد جوزى عليه خيراً ، ويجعل مجده الشخصى عائداً على مجــد المدرسة كلها بالعظمة والخير .. !!

بذلك وبغيره نوجد فى المدرسة نظاماً حياً يمتد من الملعب إلى حجرة الدرس ، ويتحقق فى حضور الرقيب كما يتحقق عند غيبته ، وبذلك وبغيره نستطيع أن نخرج الرجل الاجتماعى المنشود الذى يرعى قوانين أمته ، ويطيع عرفها ، ويندمج فى وحدتها الكبرى غير ناظر إلى رياسة تذيع اسمه ، أومنصب يدر عليه الخير ، أوشخص يحسده ويسعى إلى تحطيمه بالمنافسة الشريفة وغير الشريفة .!!

ولعلك تعرف بعد هذا أن قوام ذلك النظام المنشود إنما هو الناظر والمدرسون ، فترى ماذا يمنع نظارنا ومدرسينا من أن يوجدوا هــذا النظام فى معاهدهم ؟ ذلك ما أدعوك اليوم إلى التفــكير فيــه ، وما سأحاول أن أعرض لبعض نواحيه فى العــــدد القادم . .

« يتبع » محمد حسن ظاظا

مدرس الفلسفة بشبرا الثانوية الأميرية

(١) وكثيراً ماتطغى الرياضة على العلم عند بعض لاعبينا فيصبحون أبطالا فى الكسل الدراسى والرسوب ويجدون مع هذا من المدرسة تهاونا مادامت تريد « الكأس » على أيديهم ! !

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

– ٢٨ –

« قرأت كلة الأستاذ سيد قطب (بين العقاد والرافعي) فى العدد السالف من الرسالة ؛ وأنا أعمل الآن عمل المؤرخ لحياة قد استأثر بها التاريخ ، والأستاذ قطب يريد أن يكون ناقداً ، وفى مذهبه أنه « لا يصح أن يكون الموت معطلا للنقد » ... وفى مذهبنا أنه لا ينبغى أن يكون بينى وبينه جدال يعطل التاريخ ؛ ومع ذلك فان ما أتى به من النقد ليس بشىء عندنا . ولقد مات الرافعى ولكنه خلف طائفة كريمة من الأدباء ، كلهم أمين على أدبه حريص على تراثه ؛ فلا جرم أن يتولى تزييف هذا النقد أو تعديله رجل غيري ممن خلف الرافعي لهم أدبه أمناء عليه ، لأفرغ لما أنا فيه ؛ فلينتدب له صديقنا (الأستاذ محمود محمد شاكر) ، فتلك من أمانات الرافعى فى عنقه »

العريان

الملاح التائه

بعد ما أنشأ الرافعى مقالة « وحى الهجرة فى نفسى » للعدد الممتاز من الرسالة فى سنة ١٣٥٣هـ ، أهدى إليه الشاعر المهندس على محمود طه ديوانه « الملاح التائه » ، وأحسبه طلب إليه أن يكتب عنه . وكان بين الرافعى والشاعر المهندس صلة قديمة من الود ، أظنها نشأت فى حجرة الأستاذ فؤاد صروف محرر المقتطف ، حيث كان الرافعى يقضى أكثر أوقات فراغه كلما هبط إلى القاهرة لعمل من أعماله . وهناك كان يلتقى الرافعى ، وصروف وإسماعيل مظهر ، ومحمود شاكر ، والمعلوف ، وغيرهم من أدباء العربية ، فيحتدم الجدل ساعات فى موضوعات شتى من الأدب . ولم يكن للرافعى ندوة أدبية يقصد إليها كلما جاء القاهرة منذ هجر فلانة — أحبّ إليه من دار المقتطف ، ثم صار له ندوة ثانية من بعدُ حين اتصل سببه بالرسالة ؛ فكان يقضى وقته بين عيادة الدكتور شخاشيرى فى فم الخليج ، وعبد القادر حمزة والمازنى فى البلاغ ، وإخوان صروف فى المقتطف ، والزيات فى دار الرسالة. ولم يلتق إلا مرة أو مرتين بالأستاذ أحمد أمين والدكتور عزام فى لجنة التأليف والترجمة والنشر ، عندما كانت اللجنة قائمة على طبع كتابه وحى القلم

قلت : إنه كانت بين الرافعى والشاعر على محمود طه صلة من الود ، ومنها أن الشاعر المهندس وضع له رسماً (تصميما) للبيت الذي كان فى نيته أن يبنيه لينتقل إليه وينقل دار كتبه قبل أن يموت . ولهذا البيت قصة لم تتم ، لأن هذا البيت لم يتم ... فقد كان كل ما ادخره الرافعى من جهاده بضعاً وثلاثين سنة ، بضع مئات من الجنيهات، اشترى بنصفها قراريط ليبنى فيها حديقة وبيتاً يسكنه — إذ كان وما زال إلى أن مات يسكن بيت أبيه — وبقى معه بعد ذلك قدر من المال لا يكفى نفقات البناء والانشاء ، فآثر أن ينتظر حتى يجتمع إليه شىء ، وأسلف صهره ما بقى عنده من المال إلى أجل ، وفى النفس أمل ... ثم ... ثم جاءت الأزمة فأكلت ثروة صهره جميعها لم تُبق منها على شىء ، وضاعت ذخيرة الرافعى فيما ضاع ولم يستطع المدين وفاء الدين ، فلم يبق للرافعى من جهاده وما ادخر إلا الأرضُ الخربة ، والأمل فى عطف الله ، وخطوطتين حدود البيت وحجراته وأبهاءه وحديقته، مرسومة على ورقة زرقاء ... !

وجاءه ديوان الشاعر على محمود طه ، وديوان الهاجى ؛ فدفعهما إلىّ لأختار له ما يقرأ من كليهما . ولم أكن أعرف يومئذ ما بينه وبين الشاعر المهندس ، ولكن رأيى فى ديوانه وافق هواه ؛ فما فرغت من قراءته حتى دفعته إليه وعلى هامشه إشارات بالقلم ، وما دفعته إليه حتى تهيأ للكتابة عنه ...

وأنشأ مقالة مسهبة نشرها فى المقطم ، تحدث فيها عن الشعر حديثاً يبين مذهبه وطريقته فى فهم الشعر وفى إنشائه ؛ ثم انثنى إلى الشاعر المهندس يمدح ويثنى ، وينتقد وينصح ... وكان مؤمناً بما كتب ، ولكن إيحاءات من الواعية الباطنة (١) كانت تملى عليه بعض الحديث فى التعريض ببعض الشعراء المعاصرين ...

وتناول الأستاذ المازنى ديوان « الملاح التائه » فى البلاغ بعدما تناوله الرافعى ، فعاب عليه أشياء كان يمتدحها الرافعى ،

(١) الواعية الباطنة : هو تعبير الرافعى عما يسمونه فى علم النفس بالعقل الباطن

وأخذ على الشاعر أنه كثير العناية بالألفاظ والعبارة وجزالة الأسلوب؛ فكانت مقالة الأستاذ المازني حافزة الرافعي على أن ينشيء مقالة الرسالة في الرد عليه، جعل عنوانها «الصحافة لا تجني على الأدب ولكن على فنيَّته»؛ فبهذه المقالة كان الرافعي يقصد الأستاذ المازني، دفاعاً عن صديقه الشاعر، أو دفاعاً عن مذهبه في الشعر. وكانت هذه أولى مقالات الرافعي في الرسالة بعد فترة من مقالة «وحي الهجرة» وقد أنشأها على نهجه القديم، وحاول فيها فناً من التهكم في قصة اخترعها عن الأصمعي الراوية في عهد الرشيد

* * *

في الرسالة

كان الرافعي مفتوناً بمقالاته الثلاث التي أنشأها في هذه الفترة: البلاغة النبوية، وحقيقة المسلم، ووحي الهجرة. وكان حسن وقعها عند كثير من القراء حافزاً له على الاستمرار في هذا الباب من الأدب الديني، فعقد النية على أن يكتب السيرة النبوية كلها على هذا النسق الفلسفي، ليجعلها كتاباً بعنوانه، يتناول سيرة النبي المعظم — صلى الله عليه وسلم — على طريقة من التحليل والفلسفة، لا على نسق من الرواية. فأنشأ بعد ذلك مقالاته: «سموّ الفقر»، و«الانسانية العليا»، ثم بان له من بعدُ أن هـذا الفن من الانشاء عسر الهضم عند كثير من قراء الرسالة، فتركه إلى موضوعات أخرى يعالج بها بعض مشاكل الاجتماع في الحياة المصرية، على أن يكتب ما يتيسر له من المقالات النبوية نجوماً في فترات متباعدة حتى لا يمل قراءه أو يثقل عليهم. وسأتحدث من بعدُ عن كل مقال من المقالات التي أنشأها للرسالة في الفترة التي صحبته فيها، لعل ذلك يعين على فهم أدب الرجل ودوافعه ومعانيه؛ ولعله يبلغ بي الوسيلةَ إلى الذين لا يفهمون أدب الرافعي ثم يحاولون أن يتحدثوا عن أدب الطبع وأدب الذهن، أو الأدب الفني والأدب النفسي ...

ولكن عليّ قبل أن أبدأ هذا الحديث، أن أصف الرافعي حين يهم بموضوعه، ثم حين يفكر فيه، ثم حين يتهيأ لكتابته، ثم حين يمليه عليّ من القصاصات المبعثرة على مكتبه، فان ذلك من الموضوع فاتحته وأوله:

* * *

اختيار الموضوع كان أول عمل يحتفل له الرافعي؛ وإذ كان لم يعمل في الصحافة قبل اشتغاله بالرسالة، فإنه لم يتعود من قبل أن يفتش عن الموضوع؛ ولم يكن يحاول الكتابة إلا أن يدفعه إلى الكتابة دافع يجده في نفسه قبل أن يطلبه؛ فلما دعاه الزيات ليكتب للرسالة موضوعاً كل أسبوع، راح يلتمس الموضوعات التي تصلح أن يكتب فيها للرسالة. وكان يضيق بذلك ويتحير، ثم لم يلبث أن تعودها، فكان يرسل عينه وراء كل منظر، ويمد أذنه وراء كل حديث، ويرسل فكره وراء كل حادثة، ويلقي باله إلى كل محاورة، ثم يختار موضوعه مما يرى ويسمع ويشاهد ويحس، ثم لا يبدأ أن يجمع له فكره ويهيئ عناصره إلا أن يجد له صدى في نفسه، وحديثاً في فكره، وانفعالا في باطنه. وكثيراً ما كان يعرض له أكثر من موضوع؛ وكثيراً ما كان يرتج عليه فلا يجد موضوعه إلا في اللحظة الأخيرة، واللحظة الأخيرة عنده قبل موعد إرسال المقال بثلاثة أيام!

ثمن ذلك، ومن خشية الارتاج والحرج، كان دائماً في جيبه ورقات، يكتب في إحداها عنوان كل ما يخطر له من موضوعات الأدب، ليعود إليها عند الحاجة؛ ويتخذ الورقات الباقية مذكرة يقيد فيها الخواطر التي تتفق له في أيّ من هذه الموضوعات أين يكون. ويلغ بذلك أن يجتمع عنده في النهاية ثبتٌ حافل بعناوين مقالات لم يكتبها ولم يُفرِغ لها باله، وورقاتٌ أخرى حاشدة بخواطر ومعان شتى في أكثر من موضوع واحد، لا تربط بينها رابطة في المعنى ولا في الموضوع. ومن هذه الورقات، ومن فضلات المعاني في المقالات التي كتبها وفرغ منها — كان يختار «كلمة وكليمة» التي كان ينشرها في فترات متباعدة من الرسالة كلما وجد حاجة إلى الراحة من عناء الكتابة. فهذه الكلمات هي إحدى ثلاث: خواطر مبعثرة كان يُلقِّاها في غير وقتها، أو عناوين موضوعات لم تتهيأ له الفرصة لكتابتها، أو فُتاتٌ من مقالات كتبها وفرغ منها وبقيت عنده هذه المعاني بعد تمام الكتابة إذْ لم يجد لها موضعاً مما كتب

وبسبب أنه كان يقيّد عناوين الموضوعات التي كان يختارها ليكتبها في وقتها، كان يَعِد قراءه أحياناً بموضوعات ثم لا يكتبها

ولا يفي بما وعد ، لأنه لا يملك منها إلا عنواناً في ورقة بيضاء ؛ ومن ذلك مقالة (الزبّال الفيلسوف) التي وعد أن يكتبها حين أنشأ للرسالة قصة « بنت الباشا » ثم مضت ثلاثة أعوام ووافاه الأجل وما تزال مقالة الزبال عنواناً في رأس ورقة تحته نثار من الخواطر والمعاني التي كان يدخرها إلى يومها المؤمّل

ولقد وجدْتُ على مكتبه في طنطا غداة نعيه كثيراً من هذه الورقات ، تشير إلى كثير من أمل الأحياء وإلى كثير من خداع الحياة ... !

* * *

... فإذا تم له اختيار الموضوع الذي يتهيأ لكتابته ، تركه للفكر يعمل فيه عمله ، وللواعية الباطنة أن تهيء له مادته ؛ ويدعه كذلك وقتاً ما ، يطول أو يقصر ، يقيد في أثنائه خواطره لا تكاد تفلت منه خاطرة ؛ وهو في ذلك يستمد من كل شيء مادة وَحْي ، فكأن في كل موجود يراه صوتاً يسمعه ، وكأن في كل ما يسمعه لوناً يراه ، وكأن في كل شيء شيئاً زائداً على حقيقته يملي عليه معنى أو رأياً أو فكرة ...

فاذا اجتمع له من هذه الخواطر قدر كاف — والقدر الكافي لتجتمع له هذه الخواطر هو يومان أو ثلاثة — يأخذ في ترتيبها معنى إلى معنى ، وجملة إلى جملة، ورأياً إلى رأى . فهذه هي الخطوط الأولى من هيكل المقالة

ثم هو يعود بعد ذلك إلى هذه الخواطر المرتبة — بعد أن ينفي عنها من الفضول ما يدخره لـ « كلمة وكليمة » أو لموضوع آخر — فينظر فيها ، ويزاوج بينها ، ويكشف عما وراءها من معان جديدة وفكر جديد ؛ ولا يزال هكذا : يزاوج ويستولد ، ويستنتج من كل معنى معنى ، ويتفطر له عن كل رأي رأي ، حتى تستوى له المقالة فكرة تامة بعضها من بعض ، فيكتبها

إلى هنا يكون قد انتهى عمل الذهن ، وعمل النفس ، ويبقى عمل الفن والصناعة لتخرج مقالة الرافعي إلى القراء في قالبها الأخير الذي يطالع به الأدباء ... وبيني وبين القراء ميعاد ...

« شبرا » محمد سعيد العريان

من البرج العاجي

أذكر أني ما قرأت بعض فقرات من « يوليوس قيصر » لشكسبير ، إلا غمرني حزن حقيقي . قصة أخرى أذكر أيضاً أنها كانت تترك في نفسي عين الأثر : هي رواية فرنسية تسمى « نابليون المسكين » لكاتب فرنسي يسمى « برنارزيمر » يصور فيها الامبراطور سجيناً في جزيرة سانت هيلانة ، وقد قصت أجنحة هذا النسر الهائل ، وقلمت مخالبه ، وأمسى مخلوقاً بائساً يهزأ به خادمه ويخفي عنه غليونه الذي يدخن فيه ، ويهمله سجانه الانجليزي ويدعه يتقلب طول الليل على مضجع الألم من مرض أضراسه ، فلا يرحمه ولا يحضر له طبيباً ولا دواء ، ويلقبه « بالدب » الذي وضع في أنفه حلقة من حديد ويسمح لبعض الزائرين من السائحين أن ينظروا إليه خلسة من ثقب باب حجرته ، كأنه أسد هرم رابض في قفصه بحديقة الحيوان ، هذا الذي كان وحده يقيم العروش ويثل العروش ، ويدب بحذائه العسكري على أديم أوروبا فتهتز لشيته التيجان على رؤوس الملوك . وكان يقول في صوته الحديدي : أنا وحدي « أوربا » ، فتقول له أوروبا كلها : بل أنت « العالم » . نعم لا شيء يؤلم نفسي مثل رؤية « العظيم » يرى سقوطه بعينيه ، ومع ذلك لقد احتفظ هذا العظيم بكبريائه حتى النفس الأخير . ولقد كان يصر على أن يلقب بالامبراطور ، ولقد خاطبه في ذلك مرة حارسه الانجليزي قائلا له : إمبراطور على من ؟ وإمبراطور على ماذا ؟ فلم يجد منه إلا تشبثاً . فأذعن رفقاً به أو سخرية منه ، وترك له هذا اللقب الذي لا يغني ولا يفيد . ولبث هذا البطل المهجور يعيش في هذه الجزيرة المهجورة إلى أن مات ، لا بين قصف المدافع ودوي الأبواق ودق الطبول وهتاف العالم من جميع الأركان ، ولكن بين سكون النسيان ، لا يشيع جثمانه العظيم غير خادم وسجان . يالقسوة القدر ! ان السماء لتنقم أحياناً من العظيم الذي يتوهم أنه غير وجه العالم بأعماله ، فتؤخر موته بضعة أيام عن الوقت الذي كان ينبغي فيه أن يموت ، حتى يرى بعينيه قبل أن تغلقا أن العالم بخير لم يتغير فيه شيء بذهابه ، ولم تخفت ضحكاته ولم تقف عجلاته برحيله.

توفيق الحكيم

آراء حرة

بين العـــــقاد والرافعي

للأستاذ سيد قطب

- ٢ -

في كلمة الأستاذ سعيد العريان الأخيرة، وردت الجمل الآتية يصف نقد الرافعي لوحي الأربعين

« وكان نقداً مراحاميًا اجتمع فيه فن الرافعي، وثورة نفسه، وحدة طبعه، وحرارة بغضائه، ولكنه كان نقداً منزهاً عن العيب »

« أستطيع أن أقول ويقول معي كثير من أدباء العربية، إن هذه المقالة هي خير ما كتب الرافعي في نقد الشعر، وأقربها إلى المثال الصحيح »

« من قرأ « على السفود » فعابه على الرافعي وأنزله غير ما كان ينزله من نفسه، فليقرأ مقال الرافعي في نقد « وحي الأربعين » ليرى الرأي المجرد في شعر الأستاذ العقاد عند الرافعي »

وفي هذه الكلمة نفسها يقول عند رد العقاد:

« قرأت مقالة العقاد في الرد على الرافعي، فوجدت أسلوباً في الرد لم أكن أنتظره، يؤلم ولا يفحم، ويقابل الجرح بالجرح لا بالعلاج

ويسمى الرد كله: « طعن العقاد على الرافعي وشتيمته إياه »

ويقول عن المقالة كلها: « وكان أكثرها سباباً وشتيمة، وأقلها في الرد والدفاع » ... الخ ... الخ

* * *

هذا ما يراه الأستاذ سعيد في نقد الرافعي ورد العقاد. فمن شاء أن يعرف ما هو نقد الرافعي، فليسمع نماذج منه تعطي صورة كاملة عنه، لأنها منتقاة من نواح مختلفة فيه، لتمثل « فنونه » كلها. وإني لأستميح قراء الرسالة العذر، حين أستبيح أسماعهم وأذواقهم في سماعها، وقد اختصرت على أقلها إفحاشاً وماهي ذي:

١ — « وما يخيل إلي في شعر العقاد إلا أنه مستنقع اخضرت ضفتاه، فهذا الجمال القليل فيه لا يكشف عن سر ورونق وإمتاع، وإنما يزيد في القبح والشنعة. وما هو المستنقع إلا البعوض والملاريا والطحلب والوخم والعفن. ولو أنك كنت شاعراً دقيق الحس، مصفى الذوق، عالي البيان، ثم قرأت شعر العقاد لرأيت من ألفاظه ألفاظاً تلسع الذوق لسع البعوض، ومن شعره أبياتاً تنهق نهيق الضفادع التي هي حمير الماء

٢ — يقول العقاد عن حبيبته:

فيك مني ومن الناس ومن كل موجود وموعود تؤام

فلا يرى الرافعي في هذا البيت الفريد إلا أن يقول:

« قلنا فإن « من كل موجود » البق والقمل والنمل والخنفساء والوباء والطاعون والهيضة وزيت الخروع والملح الانجليزي إلى واوات من مثلها لا تعد، أفيكون من هذا كله في حبيب إلا على مذهب العقاد في ذوقه ولغته وفلسفته ؟ »

٣ — يقول العقاد في طرافة ودعابة عن حسان شاطئ استانلي

ألقى لهن بقوسه قزح وأدبر وانصرف

فلبسن من أسلابه شتى المطارف والطرف

فلا يجد الرافعي في هذه الطرافة إلا أن يتلاعب بالألفاظ فيقول:

« فقزح لا يلقي قوسه أبداً، إذ لا يفصل منه. قال في اللسان « لا يفصل قزح من قوس » فاذا امتنع فكيف يقال: « أدبر وانصرف »

أما قزح العقاد، فلعله الخواجة قزح الايطالي، مراقب المجلس البلدي على شاطئ استانلي الذي قيلت فيه القصيدة

٤ — ويسمع العقـاد صيحات الاستنكار لهو الشواطيء وما تعرض من جمال، فيصيح صيحة الفنان الحي المعجب بالحيوية والجمال:

عيد الشباب ولا كلا م ولا ملام ولا خرف

فاذا الرافعي يقول:

« إن غاية الغايات في إحسان الظن بأدب العقاد أن تقول إن في هذا البيت غلطة مطبعية، وأن صوابه

عيد الشباب فلا كلا م ولا ملام (بلا قرف)!

* * *

هذه نماذج منوعة من ذلك النقد الذي ينال الرضاء والاستحسان من أصدقاء الرافعي ، ومن أبناء مدرسته ، ويعتبر « نقدا منزها عن العيب » !

وهذا هو الكلام الذي يعتبر رد العقاد عليه « سبابا وشتيمة » !

ومثل هذه الآراء الغريبة تثير الحنق وتستفز النفوس ، ومع هذا فسأحاول أن أناقشها بهدوء ، وأن أخلص منها إلى البرهنة على ما سبق أن أسلفته من رأيي في الرافعي

فأما المثال الأول فما أدري ماذا أسميه إن لم أقل عنه : « إنه إفحاش » أو إنه « سباب وشتائم » بتعبير أصدقاء الرافعي وهو وأمثاله يؤلف نصف النقد في أوائله وأوسطه وأواخره ، فلنمر عليه مر الكرام

وأما المثال الثاني فهو مصداق رأيي في أن الرافعي أديب الذهن لا أديب الطبع ، وأنه تنقصه « المقيدة » التي هي وليدة الطبع .

أو . لا . فأي « طبع » سليم يتجه إلى تفسير بيت غزلي في معرض إعجاب شاعر بحبيبته ، واستغراق في شمول شخصيتها بأن « كل موجود » هو البق والقمل والنمل ... الخ » ؟ غافلا عما في هذا الإحساس من « حياة » و « استكناه » لجوهر الشخصية ، و « خيال بارع » تثيره طبيعة فنية ، فيرى في هذه المرأة من متنوع الصفات ومختلف النزعات وشتى المزايا ، عالما كاملا من كل موجود وموعود ؟

أحد أمرين :

إما أن الرافعي ضيق الإحساس مغلق الطبع بحيث لا يلتفت إلى مثل هذه اللفتات الفنية بالشعور

وإما أنه يدرك هذا الجمال ، ولكنه يتلاعب بالصور الذهنية وحدها ، غافلا عما أحسه وأدركه

وهو في الحالة الأولى مسلوب «الطبع» ، وفي الثانية مسلوب « المقيدة » . فأيهما يختار له جماعة الأصدقاء ؟

والمثال الثالث فيه تلاعب وروغان ، وهو في هذه المرة (التلاعب) أخس من السابقة . ففي الأولى كان تلاعبا بصور ذهنية ، وهو هنا تلاعب بألفاظ لغوية !

أولا فتـذا الذي يغفل عن طرافة هذا « الخيال » الذي يتصور « قزحا » ملفيا بقوسه لهؤلاء الحسان ، وهن يتناهبن هذه الأسلاب ، بينما هو مدبر منصرف ، مغلوب على أمره ، لا يستطيع النصفة ممن غلب جمالهن جماله !

ألا تستحق مثل هذه الطرافة ، ومثل تلك الحيوية من الناقد إلا أن يذهب إلى القاموس أو اللسان ، ينظر هنالك هل يفصل قوس عن قزح أولا يفصل ؟ ثم يكمل الكلام بتهكم بارد لا يرد على الفطرة المستقيمة في معرض هذا الجمال !

أهذا هو النقد الذي هو « أقرب إلى المثال الصحيح » ؟

وما قلته في المثال الثاني يقال بنصه هنا ، فلترجع إليه جماعة الأصدقاء !

والمثال الرابع يغنينا الرافعي عن الحديث فيه ، فهو لم يزد على أن أورد البيت ، ثم استغلق دون استيعاب ما يعبر عنه من روح الفنان الحي ، الموكل بالجمال حيثما وجد وكيفما كان ، الهازىء بخرف التقاليد ، وقيود العرف ، ولم يجد ما يقوله إلا « بلا قرف » وهو قول لا تعليق لنا عليه

* * *

هذه نماذج يبين أولها شتائم الرافعي وسبابه ؛ ويمثل الثاني تلاعبه بالصور الذهنية ، واستغلاق طبعه دون تملي الإحساس الفني ؛ ويمثل الثالث تلاعبه بالألفاظ اللغوية ، والوقوف بها دون ما تشعه في الخيال من صور طريفة ؛ ويمثل الرابع هروبه من مواجهة النقد الصحيح إلى المراوغة وكسب الموقف — في رأيه — بنكتة أو تهكم أو شتيمة

وليس في نقده كله إلا أمثلة لتلك النماذج ، وهي كلها لا تستدعي ردا من المنقود . وإني لأعجب كيف رد العقاد على مثل هذا ، وكيف عني أن يناقش ما لا يناقش من الآراء والتخايلات

لقد قلت في كلمة سابقة : إنني أنا — لا العقاد — كنت مستعدا أن أثور وأن أستهزئ ، لو تناول متناول أدبي بمثل هذا الضيق في الفهم والاستغلاق في الشعور ، أو بمثل تلك التلاعبات الذهنية واللغوية ، واللفتات البهلوانية

وإنني لأكرر ما قلته ، وأعجب من بعض أصدقاء الرافعي : كيف كانوا يريدون من العقاد أن يقابل مثل هذا بالنقاش الهادىء « ويرد الجرح بالعلاج لا بالجرح » . ولماذا أيها المنصفون يطلب من العقاد وحده أن يلتزم جانب النقد الأدبي مع من لا يلتزمه

* * *

وبعد فقد اخترت أن أثبت رأيي في الرافعي من نقده الذي استحق إعجاب أصدقائه ، وفي مرة أخرى سأفصل هذا الرأي معززا بانتاجه الطبيعي الخالص من فورة الخصومة وحدة النزال

« حلوان » سيد قطب

رســـالة الأديب

إلى الحياة العربية

للدكتور بشر فارس

الأديبة تريحنا من الأدباء :

القصر تدخله فيروعك الرواق الممدود والجدار النطاق والسقف المقبَّب، ثم الطنافس كأنها من بطون النوق ، والمصابيح كأنها انسلت من أعطاف القمر ، والأسرّة كأنها من عضل الزّنج منحوتة . فإذا طرفك تنهكه الغلبة ؛ حتى إذا انثنى إلى الخدر وارتفع له ستاره كان كالسنبلة تلطمها السَّموم فيغيثها البلل . الخدر : زهر مطروح ، وإبريق مترع نصفه ، وكأس تنظر أين شاربها ، ومقعد مقتضب ولكنه وثير ، ووساد كأنه خدود جُمِّعت ، وباب هنالك تدفعه بنفثة

فبورك اليوم الذي فيه حنَّت أنامل ميّ إلى قلمها !

* * *

وبعد، فقد ألقت الآنسة ميّ في قاعة الجامعة الأمريكية لبيروت محاضرة موضوعها « رسالة الأديب إلى الحياة العربية » ، وقد نشرتها « الرسالة » (رقم ٢٤٨) وإذا هي محاضرة تسيل رقة وتثب خفّة ، فيها من الحقائق النواهض ما يكشف للذهن عن أفق منبسط وهّاج .

وثمت ثلاث حقائق لم ينصرف قلم الآنسة ميّ إليها، فهل لي أن أبينها هنا ؟

* * *

الأدب صناعة !

كذلك كان عند الأمم الراقية وفيها العرب أصحاب لغتنا . وكذلك هو اليوم في بلدان الفرنجة. و« الصناعة » لفظ له مدلول معين . إنما مداره هذه المجموعة من القواعد والشرائط . ومن الشرائط أن تكون منجذباً إلى الأدب سليقة ، وأن تنصبه فوق كل شيء ، وأن تبذل في سبيله ما عزّ عليك من متاع أو مطلب ، وأن تنصرف إليه لوجهه . ومن القواعد أن تملك اللغة التي تكتب بها ، وأن تكون مطلعاً على آدابها واقفاً على فنونها ، وأن تكون — فوق هذا — طلاّباً للعلم ، مأخوذاً بحمّى الاستطلاع المتصل ، مستقيماً في الأداء ، رغاباً في التطلع إلى التمام .

قواعد وشرائط هيهات أن تكون من مستحضرات الذهن النظري ، بل هي من مستخلصات تاريخ الآداب عامة .

هل الأدب صناعة في الشرق العربي ؟ إنه لصناعة عند فئة ممن يقبلون عليه وقلوبهم تحدثهم بقدره . غير أن العدد الأوفر من كتابنا وشعرائنا إنما يهجمون على الأدب من غير بابه .

أليس الأدب أن تقبض على قلم وتفرش ورقة وأنت عارف كيف ترفع الخبر وتخفض المضاف، وإن حيرتك حروف الجرّ أو أدار عقلك وصل الجمل وفصلها ؟ أما الذي يغشى الورقة فما لا شأن للقارىء فيه . أنا أكتب ، وأما أنت فالقراءة القراءة ، بل عليك أن تكبرني . لمه ؟ لأني أكتب ؛ لأني أديب . أين الشهادة بأني أديب؟ إن صحيفة كيت وكيت تنشر لي. إن لي كتاب كذا وكذا ... ماشاء الله ؛ ماذا تقول ؟ « الأدب صناعة » ؟ ها ها ! الأدب وحي ! الأدب زبر ورشح وأنا الطست من تحته ! أجل أنا أقرض الشعر وإن لم أقوّم أوزانه ! الشعر موسيقى وأذني دف تنقره وثبات روحي اللطيفة . أجل أنا أحلل فلسفة برجسون وإن لم أقرأ أفلاطون ولا بلوطينس ولا سبينوزا ولا دركايم . إني أتسلق الدار وأعف عن إتيانها من مولجها . أجل أنا أؤلف مسرحيات وإن لم أقرأ مسرحية أفرنجية واحدة . لا حاجة بي إلى من يدلني على الطريق . أنا « موهوب » . أجل أنا أصف الصور والتماثيل التي في معارض الفن وإن لم ألمح من متحف « اللوفر » سوى طرفاً من سلمه . الأدب تهويل على الناس ، يا صديقي . أجل أنا أزلق إلى الغمز بمجمع اللغة العربية وإن لم أقرأ « القرآن » ولا « المخصص » ولا « مغني اللبيب » وإن جهلت كيف أطلب مادة أدب في القاموس المحيط . أنا أنشىء افتتاحيات سياسية ، والسياسة مدرجة إلى كل شيء

* * *

الأدب غذاء !

أن تشرح روحي وتزيد في علمي وترهف إحساسي وتصقل

إذزا كي ثم تدفعني إلى حيث أفلت من قيود المادة ، ذلك الذى أرقبه منك خاصة أيها الأديب . أما أن تقصر أدبك على الترويح عن نفسى كأنك بيغاء يسلى عجوزاً عن شمطها فلى عنك فى ذلك غنى . أليس بين يدىّ « روايات الجيب » ومجلة « اللطائف » والصور المتحركة الأميركية و « الكسار » والزمار البلدى ورقص البطن فضلاً عن القهوات وما يقع عليها من غرائب المخلوقات ؟

كأنى بك تكتب وتأتى فى اعتقادى أنك ممن يقود فكرى فتغوينى وتفسد علىّ معنى الأدب . وإن قلتَ : إنى لم أهيَّأ بعد لتاتى أسرار فنك لقعود فهمى عن النفوذ إلى مخبآت الضمير ، فما رسالتك إذن ؟ أترفعنى إليك أم تنخفض إلىّ ؟

خبّرنى، هل رأيت — حياتَك — الزهرة تميل إلينا لنستروح شذاها أم هل رأيت البحر يأتينا فى بيوتنا لنركبه إلى الشطء المحنون إليه ؟ روّضنى على التفكير . خذ بيدى . خذ بما تيسر لك منى نحو ذلك الضوء الذى تراه (من باب الفرض على الأقل) ثم تأتّ لعينى وتلطف فى فتحها. إن الغشاوة التى تركبها إنما أمرها موكول إليك . وما هى بالمستعصية والله ! ولكن إياك والسطو على تآليف غيرك ولا سيما الفرنجة ، فانما روحك التى ألمسها فيما تكتب ، ومن روحى إلى روحك رسول ، ألسنا من جبلّة واحدة ؟

* * *

المرأة قوام الأدب !

المرأة عندنا لم تعرف بعد ما المرأة . فإن كانت مثقفة فإنما يشغلها التحرر والنسج على منوال الأفرنجية فى مظاهرها . وإن كانت أميّة فإن هى إلا عَرَض فى عينها . آه لو عرفت المرأة أن الأدب منها وإليها ؛ لأن بين يديها مفتاح الغبطة والألم . ومن ذا الذى يلقّنها هذا غير الأديب ، بل من ذا الذى يَقفها على وليجة نفسها غيره ؟

الجانب الأعظم من أدبنا أشبه شىء بصحراء رُباها متناسقة ورمالها متناسبة وليس فيها بئر ولا نخل ، حتى إذا جُزتَها وفوّزتَ أصبت عند مخرجها آباراً مهجورة ونخلاً تكاد الوحدة تصرعه . إن البيئة الشرقية مقسمة قسمين : هنا الرجال وهنالك النساء . وما أدرى حتى اليوم كيف يستمرىء الرجال العيش على هذا النحو الشاذ. ولذلك ترى أدبنا المحدث غير طبيعي فى جملته؛ أما الشعر فمصنوع ، وأما القصص فملفّق ، وأما الرسائل فجافّة

وإذا فُوِّض إلى الأديب أن يرشد المرأة إلى سريرة نفسها ، فما وكل إلى المرأة بعد هذا أن تلهم الأديب من طريق مباشر أو غير مباشر ، وأن تهذب القارئ بلطف حسها فتقوم مقام الهمزة الدقيقة تصل بين الأدب الحق والمتطلع إليه

بشر فارس

رَجْع : فى مقالى المنشور فى العدد الماضى من الرسالة (٢٥٠) وعنوانه « فى المذهب الرمزى » (تعليق) ، بعض هفوات ، منها : وكان لأجل ، والصواب : لأهل — Caboulade ، والصواب : Capoulade — Raphalite ، والصواب : Raphaelite — أو Rein menochliek ، والصواب : أو rein mensehlich — الطبيعة البشرية المونوقة ، والصواب : الموثقة — l'aeure ، والصواب : l'Oeuvre بين التأثيرية ، والصواب : التأثرية — أن أدفع وهماً ، والصواب : وهماً ممكناً

ب . ف

ليلى المريضة فى العراق

للدكتور زكى مبارك

— ١٧ —

أسرى إلى الحب !
أسرى إلى الهوى !
بل أسرى إلى الله الذى يقلّب القلوب

* * *

كانت ليلتى فى قطار البصرة ليلة شاتية ، وما كنت أخذت أهبتى لمكافحة البرد فى قطار البصرة ، وهل كنت أعلم أن البرد فى قطار البصرة له تواريخ ؟

لقد عشت دهرى مفتوناً بشبابى ، لأنى نشأت فى أسرة كان أكثر رجالها من الصعاليق

وكذلك زيّن لى الفتون أن أمتطي قطار البصرة فى ليلة شاتية بلا غطاء

دخلت البصرة محموماً ، دخلتها أهذى هذيان المحمومين

ولكنى تذكرت فجأة أن سعادة السيد عبد الجبار الراوى حاكم الحلة كان كلفنى تبليغ التحية إلى سعادة الدكتور عبد الحميد الطوخى مدير الصحة بالبصرة ، وتذكرت أن هذا الطبيب مصرى صقله العراق ، وأنا على كل حال أحب المصريين ، فقد شاع فى بقاع الأرض أنى مصريّ ، ومن واجبى أن أحب مصر وفاء أو رياء .

ذهبت محموماً للتسليم على هذا الطبيب فكاد يطير من الفرح بلقائى . فقلت له : هوّن عليك ، فما جئت إلا لأبلغك تحية حاكم الحلة ، الحلة الجميلة التى تشبه شبين الكوم حاضرة المنوفية

وما هى إلا لحظة حتى نقلنى هذا الطبيب إلى حاكم البصرة ، وإلى مدير المعارف بالبصرة ، وكان اليوم كله طوافاً بما فى البصرة من غرائب وأعاجيب

وعند الغروب لقينى الدكتور عبد الحميد القصاب فقال : ارجع بنا إلى بغداد . فقلت : لا أستطيع . فقال : إنك ستلقى كلمة مصر فى تأبين المغفور له ياسين باشا الهاشمى ، واسمك فى منهج الاحتفال

فقلت : أعرف ذلك ، وأفهم قيمة الشرف الذى أظفر به فى حفلة يخطب فيها فخامة رئيس الوزراء ، وفخامة نورى باشا السعيد ولكنى محموم ، وما أستطيع أن أعاقر البرد فى قطار البصرة ليلتين متواليتين

وأرسلت برقية اعتذار ، وأويت إلى فراشى بالفندق أعانى الغربة والمرض والحب . وشاع فى البصرة أنى مريض ، فتفضل حاكم البصرة ومرّ بالفندق فترك لى كلمة عطف ، وتفضل مدير الصحة بعيادتى فأزعجه حالى

وفى الصباح أفقتُ ، فكان أكبر همى أن أزور قبر أستاذى فى التصوف ، مولاى الحسن البصرى ، ولكن كيف ؟ لقد قضيت ليلتى محموماً وقضت السماء ليلها فى بكاء

وأويت مرة ثانية إلى الفراش لأن المطر جعل ذهابى لزيارة قبر الحسن البصرى غرضاً عزيز المنال

وطلبت الجرائد لأتلهى بها فرأيت فى جريدة « الناس » وجريدة « الثغر » أنى سألقى محاضرة بنادى البصرة ، فذهبت فى الموعد وتكلمت نحو خمسين دقيقة عن ماضى البصرة ، ثم مضيت إلى الفندق فأخذت أمتعتى لأعاقر البرد من جديد فى طريق إلى بغداد

هل يعرف قارئ هذه المذكرات كيف يشقى من يقضى ثلاث عشرة ساعة فى القطار وهو محموم ؟

علم ذلك عند الأستاذ النبيل الذى يدير إحدى المدارس فى بغداد فقد أخرج ما فى حقائبه من أغطية وملابس وألقاها فوق جسمى لأنجو من البرد الذى قتل أخانا أبا الدرداء

صرعنى البرد فى الذهاب والإياب ، وأضرعتنى الحمى فلم أدخل بغداد إلا وشفتى يزينها عُقْبول ، والعقبول هو التشقق الذى يصيب الشفاه من وهج الحمى ، ومنه جاءت عقابيل الحب ، وكذلك اجتمعت العقابيل فى قلبي وشفتى ، وهو أول حادث يقع فى التاريخ

كان هذا العقبول مزعجاً ، فقد كان كل من يرانى يحسب أنى أصبت بأخت بغداد ؛ ولو صح ما حسبوا لكانت نكبة ، فأخت

بغداد إذا أصابت الشفة كانت نذيراً بالحرمان من جميع أخوات بغداد
ومن أجل هذا المقبول حبست نفسي في المنزل أسبوعين قضيتهما في إنجاز كتاب « عبقرية الشريف الرضي »

ولكن هذا الحبس كانت له أيضاً عقابيل ، فقد اشتغلت بالسياسة العراقية مع أني طلقت السياسة المصرية منذ أعوام طوال

وتفصيل ذلك أن مجلس النواب كان يستعد لدرس معاهدة الحدود بين العراق وإيران ، وكان شط العرب محور النزاع ، شط العرب الذي تغنّيت به في البصرة ونشرت ثنائي عليه جريدة البلاد

كان العراق في فَوْرة ، وكنت في فورة ، وما أشقى من يضطرم صدره تحت سماء العراق !

ومضيت إلى رئيس الكتاب بالمجلس النيابي ، وهو صديق عزيز ، فطلبت تذكرة لحضور تلك الجلسة التاريخية . وكنت أول من دخل شرفة المجلس في ذلك اليوم ، فهالني أن أرى خريطة شط العرب مرقومة بالطباشير على لوحة سوداء

كان الجو كله دخاناً في دخان ، وكنت أكاد أختنق

ثم وقف وزير الخارجية يخطب ، وما كان أروعه في ذلك اليوم ، فقد بدد ما ران على صدري من ظلمات

وتدفق الخطباء بين معارض وموافق ، وكانت جلسة برلمانية حقًّا وصدقاً . كانت جلسة صريحة أبدى فيها النواب آراءهم بألفاظ لا مداورة فيها ولا التواء

خطب وزير الخارجية خطبتين في ذلك اليوم وكان بالتأكيد أشجع الخطباء . ولن أنسى أنه قال : كان في يقيني أن أقترح جعل هذه الجلسة سرية ، ثم رأيت أن تكون علنية ليرى الجمهور بعينه أن الحكومة حريصة على أرض الوطن كل الحرص

وسألت أحد الصحفيين عن هذا الرجل فقال : أما تعرفه ؟ هذا زميلك

فقلت : وكيف كان زميلي ؟

فقال : هو سوربونيّ مثلك ، هذا توفيق باشا السويدي خريج السوربون

السوربون ! السوربون !

رعى الله عهدي يوم كنت أجول فيها وأصول !

***

خرجت من مجلس النواب منشرح الصدر . ولقيني أحد النواب فقال : كيف رأيت ؟ فأجبت : رأيت وجه الحق . ولكن آذاني أن تكون حجة الموافقين على معاهدة الحدود مقصورة على أن إيران جارة عزيزة . فما الذي كان يضيركم لو قلتم إن إيران أمة إسلامية ، وإن المسلمين يجب أن يتسامح بعضهم مع بعض ، نحن مسئولون عن الأخوة الإسلامية أمام الله وأمام التاريخ . مسئولون أمام الله الذي يكره أن يبغي المسلمون بعضهم على بعض ، ومسئولون أمام الماضي الجليل الذي تعاونت فيه الأمة العربية والأمة الفارسية فأنجبتا أشرف ذخيرة من ذخائر الأدب والتشريع . إن العداوة بين العرب والفرس أجج جذوتها ناس من الأدباء ، فما الذي يمنع من أن يقوم فريق من الأدباء المصلحين فيخلقوا الحب بين إيران والعراق ؟

إن فرنسا لها مدرسة لنشر اللغة الفرنسية في إيران

فما الذي يمنع أن تقوم الحكومة المصرية أو الحكومة العراقية بإنشاء مدرسة لنشر اللغة العربية في إيران ؟

حدّق النائب في وجهي طويلاً وقال : هذا رأي وجيه ، ولكن الظروف ...

فقلت : أي ظروف ؟ إن أوربا يسرها أن نتمزق . وهي قد استطاعت بالفعل أن تؤلب المسلمين بعضهم على بعض وأن تضرب العرب بعضهم ببعض . وإذا استمر الحال كذلك ربع قرن فلن تجد من يردّ عليك السلام في مصر ، ولن أجد من يردّ عليّ السلام في العراق

***

الحمد لله . تم الصفاء بين إيران والعراق ، ومرت معاهدة الحدود بسلام ، والله المسئول عن هداية العرب والمسلمين

ولكن شط العرب الذي عجز عن تكدير السلام بين العراق وإيران استطاع أن يكدر السلام بيني وبين ليلاي

كنت انقطعت عن زيارة ليلى إلى أن يذهب المقبول الذي شوه شفتي ، فاستوحشت ليلى لغيابي ، وأرسلت ظمياء للسؤال عني ، فطار بي إليها الشوق ، فلما وقع بصرها على شفتي قالت : ما هذا الذي بشفتك ؟

فأجبت : هذا عقبول

فقالت : أما آن لك أن تتوب ؟

فقلت : ما ذا تعنين ؟

فأجابت : ما هذا عقبولا يا حضرة الدكتور

فقلت : وما هو ؟

فأجابت في سخرية : هذه عضة سمكة من أسماك شط العرب !

فأقسمت بالله والحب أنني ما حاولت الصيد في شط العرب حتى تعضني السمكات

وطالت اللجاجة بيني وبين ليلى، وحملني الغضب على أن أقول: اسمعي ، أنا مستعد لما هو أخطر من ذلك

فقالت : إيش لون ؟

فقلت : أنا مستعد لتقبيل ثغر الحية

فقالت وعيناها تقذفان بالشرر المتوقد : لن تقبل ثغر الحية .

فانزعجتُ وعرفتُ أنه وعيد

وانقضت السهرة في كلام تافه ، وعند الانصراف لم تسألني ليلى متى أرجع ؟

* * *

آه ، ثم آه !

كانت ظمياء خدعتني حين قالت إنها وصلت مع ليلى إلى القاهرة في آذار شهر الأزهار والرياحين ، فقد عرفت أن آذار القاهرة غير آذار بغداد . عرفت بالتجربة أن العراقيين على حق حين يحكمون بأن « آذار ، شهر الزوابع والأمطار » فقد قضيت هذا الشهر في كروب وأحزان

ولكن أي كروب وأي أحزان ؟

كنت أذهب لتأدية الدروس في الصباح ، وكنت أذهب بعد العصر إلى المطابع لأصحح تجارب كتابي ، ثم أرجع قبيل المغرب إلى البيت لأعاني وحشة الليل ، الليل الهائل ، ليل بغداد

وزاد الكرب أني انقطعت انقطاعاً تاماً عن المصريين والعراقيين

انقطعت عن المصريين للسبب الذي شرحته في كتاب « ذكريات باريس » وهو سبب يؤذيني أن أسجله مرة ثانية في هذه المذكرات ، وأنا في الواقع أنسى مصر حين أفارق مصر ، لأني أفهم أن مصر حين ترسلني إلى باريس أو بغداد لا تريد إلا أن أفهم باريس أو بغداد . ومصر لا تلعب ، فهي تحب لأبنائها أن يفهموا روح الغرب وروح الشرق ، وأنا فيما أزعم مصري تحبه مصر ، وإن كانت لا تلقاني بغير العبوس

وانقطعت عن العراقيين لأن حسابي عندهم أثقل من الجبال .

ولن أنسى السهرة التي قضيتها في منزل السيد محمد حسن الشبيبي فقد قضيت ثلاث ساعات وأنا أتدفق كالسيل دفاعاً عن الآراء التي أذعتها في مؤلفاتي ، وآذاني ذلك الجهد فرضت يومين

أين أذهب ؟ لا أدري أين أذهب

كنت أدّخر ليلى لأيام الشقاء، وهي الآن في تغضب وتعتب.

كانت ليلى تقول حين أهمّ بالخروج : فراقك صعب سيدي ،

وهي اليوم لا تقول شيئاً من ذلك ولا تسأل متى أرجع

كانت ليلى تقول : «ليش ماجيت عندنا من زمان يا دكتور؟»

وهي اليوم تسأل فيما أظن — وبعض الظن إثم — متى أرحل عن بغداد

عافاك الله يا ليلى وأسبغ عليك نعمة العافية !

* * *

تباركت يا ربي وتعاليت

فما عانيت في حياتي بلاء إلا رأيت مايصحبه من محمود العواقب.

فبفضل تغضب ليلى وتعتبها عرفت سراً من أغرب الأسرار ، عرفت كيف ظل العراقيون أكثر من ثلثمائة سنة يغنون هذين البيتين :

ولي كبد مقروحة من يبيعني بها كبداً ليست بذات قروح

أباها عليّ الناس لا يشترونها ومن يشترى ذا علة بصحيح

لقد هدني غضب ليلى فلم أعد أعرف للحياة أيّ مذاق ، وجزعت على ما صرت إليه أشدّ الجزع ، فهذا الربيع يفيض على أرجاء العراق أرواح الابتهاج والانشراح ، وقلبي وحده يعيش بلا ربيع

وجاء (نيسان ، شهر الزيادة والنقصان) فلم يهشّ له قلبي ، وبقيت أعاني ألم الوحشة والانفراد

كنت أستطيع غشيان بعض الملاهي لأنسى هموي وما في ذلك ما يضيرني ، فقد كان السيد جمال الدين الأفغاني يجلس في قهوة متاتيا بالقاهرة يوم كان الجلوس في مثل تلك القهوة شيئاً

غير لائق ، وكان يقول : من حق الفيلسوف أن يجلس فى قهوة متاتيا ، وأنا دكتور فى الفلسفة ومن حق أن أجلس فى قهوة متاتيون !

ولكن ملاهي بغداد فيها أغانٍ وألحان ، وقد صرت بعد غضب ليلى مرهف الحس إلى حد مفزع ، وأخشى أن أسمع الغناء مع الناس فتفضحنى عندهم دموعى

وكان يتفق أن أسمع المذياع من حين إلى حين فأتوهمه يدمدم :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى بها كبداً ليست بذات قروح

ومن غريب ما وقع أن غضب ليلى قوبل بعوض مزعج هو كرم أهل العراق

كنت أدخل المطاعم للغداء أو للعشاء فأجد من يدفع عنى من حيث لا أعرف . وكثر ذلك حتى أضجرنى ، وما كنت بخيلاً حتى أنكر الكرم ، ولكن قلبى كان يهتف بقول الزميل القديم :

آل ليلى إن ضيفكمُ واجد بالحى مذ نزلا
أمكنوه من تَنيَّتها لم يرد خمراً ولا عسلا

وفى حومة من هذه الحرب الوجدانية سمعت أن جماعة من الأطباء كتبوا يشكوننى إلى الجمعية الطبية المصرية ، وهم يزعمون أننى حنثت فى اليمين ، فقد أقسمت كما أقسموا ألا أفشى سراً لمريض ، ولو كانوا يعقلون لعرفوا أن مرض ليلى أصبح معضلة دولية، ولكن هل يعقل من فى قلوبهم مرض ؟

آه ثم آه من حقد الزملاء

* * *

لم تسألنى ليلى متى أرجع ، ولكن لا بدّ أن أرجع وهل هنت على نفسي إلى هذا الحد ؟

ما هنت على نفسى . فقد رعاني الله فمشت طول حياتى عزيزاً ، ولكن هذه فرصة أختبر فيها أخلاقى . هذه فرصة ثمينة قد لا تعود . إن ليلى تحقد علىّ ، وتتهمنى بخيانة الحب ، ومن واجبي نحو الأخلاق أن أرحم من يرتاب فى أخلاق ، فما ارتاب فى أخلاق غير الضعفاء والمساكين

ولكن ليلى لها تاريخ ، وأشقى الناس من يعشق امرأة لها تاريخ

وتاريخ ليلى ابتدأ فى القاهرة واستفحل فى بغداد ، ومن الواجب أن أكون على بينة من تفاصيل ذلك التاريخ ، وعلم ذلك عند ظمياء

* * *

— إيش لونك يا دكتور ؟

— أعانى ظلام الحب وظلام الليل ، وإيش لون ليلى ؟

— إستراحت لمكايدتك فدبت فى روحها العافية

— وكذلك أبى الأصدقاء ليهدمونى يا ظمياء

— لا تندم على ما صنعت من جميل

— سمعت وأطعت يا بنيتى الغالية ، ولكن أحب أن نرجع إلى حديث ليلى مع الضابط عبد الحسيب

فانشرح صدر ظمياء وأخذت تقول ...

« للحديث شجون » زكى مبارك

أهمية الترجمة ومراحلها فى التاريخ

الترجمة فى الاسلام

صفاتها وفهمها في أوربا

للأستاذ عبد العزيز عزت

كذلك كما فتح العرب الممالك الواسعة فى مشارق الأرض ومغاربها[1] واختلطوا بأهل تلك البلاد ، وكان بينهم من يسمو عليهم فى الحضارة والعلم ، أحس العرب بجهلهم وما يخضعون له منذ زمان بعيد من عرف الحكم المتقطعة والأوامر والنواهى التى لا تؤدى إلى خلق دورة كاملة للتفكير فى موضوعات معينة ، لأنهم قوم رحل يعشقون الحرية التى جعلتهم شعباً ملهماً تتقد فيه المشاعر وتسمو فيه البلاغة ، وينضج فيه الشعر ، ويسبح فيه الفكر بين الذاكرة والخيال دون أن يهبط إلى ظاهرات الوجود الدنيوى ليحلل عناصرها ويعسعس عن منطق الترابط العقلى بينها . عقلية يسودها الماضى بعرفه وذكريات أبطال القبائل ، والمستقبل تحت عبء القضاء والقدر[2] ؛ رحبوا لهذا بخلق هجرة العقل ، بعد أن مهدت لذلك من قبل هجرة الايمان لسيد الخلق عليه السلام

فابتدأ تاريخ العقل عندهم حينما أسس المأمون «ديوان الترجمة» ببغداد عام ٨٣٢ ميلادية ، وكان أغلب هذا الديوان من النصارى كحنين بن اسحاق ، وابنه اسحاق ، وكحبيش ، وقسطا بن لوقا وغيرهم فذهب هؤلاء المترجمون إلى فلاسفة اليونان يتوسلون ويستجدون فطربوا على وجه الخصوص لأفلاطون وارسطو ، فترجموا للأول خاصة مايتعلق بعهد الشيخوخة ، لأن علماء تاريخ الفلسفة كأستاذنا روبان يقسم افلاطون إلى ثلاثة أقسام : عهد الشباب ويتأثر فيه بسقراط فى مجال الأخلاق وطبيعة الفضيلة ، وعهد الرجولة وفيه يبسط آراءه فى نظرية المعرفة وماوراء الطبيعة وطبيعة النفس وملكاتها ، وعهد الشيخوخة وهو أهم عهوده لأنه يلخص العهدين السابقين بل كل الفلسفة اليونانية إلى عهد افلاطون ، كما نجد ذلك فى « طيماوس » ، وكذلك فيه يضع كتبه فى السياسة كالجمهورية والسياسة والقوانيس ، فترجمة العرب لافلاطون وأن قلت فى الكم فإنها عظمت فى الكيف ، هذا من الوجهة المباشرة ، أما من الوجهة غير المباشرة فلقد ترجم كذلك العرب كتبا وإن لم تكن لأفلاطون إلا أنها تمت إلى فلسفته بصلة وصلات « ككتاب « الاثولوجيا » الذى نسب خطأ لارسطو وهو لفلوطين ، وهو « الشيخ اليونانى » على حد تعبير الشهرستانى الذى ينتمى لمدرسة الاسكندرية ، وكذلك « كتاب العلل » لبرقلس ، وفلسفة كل منهما تنتمى إلى فلسفة افلاطون ، وبجوار هذا كان للمسيحية أثر لا يستهان به عن طريق المترجمين لأن أغلبهم كان من المسيحيين والكل يعرف الاتصال الوثيق بين التثليث فى المسيحية وخصوصا تثليث القديس اوغسطين ، والتثليث الافلاطونى[1]

وترجموا كذلك لأرسطو ، وهنا نجد الكم يسبق الكيف لأن كل مؤلفاته قد ترجمت إلا ما كتبه فى السياسة وهذا الاستثناء راجع فى نظرى إلى أن سياسة أرسطو سياسة « مغلقة » تختص بما للمجتمع اليونانى القديم من نظم مدنية خاصة ، وإنها كذلك تقر الرق والاستعباد، وهذا يناقض مبادىء الاسلام التى تصرح أن لا فرق لعربى على أعجمى إلا بالتقوى . وإنها أيضاً تعطى الوجه الاقتصادى فى المدينة أهمية كبرى بينما نجد عند فلاسفة الاسلام الأثر ظاهراً فى تغليب الوجه السياسى لأنهم يرددون كثيراً : « الناس على دين ملوكهم »[2] وهذا راجع بطبيعة الحال إلى أهمية سن أن الخلافة فى الاسلام الذى يشتق من أهمية رئيس القبيلة فى النظام الاجتماعى لمعيشة العرب فى البيداء

وسبب سيادة أرسطو عند العرب ترجع فى نظرى إلى أنهم وجدوا فى منطقه أداة للجدل ونشر تعاليم الاسلام عن طريق الاقناع لا عن طريق السيف كما يفهم بعض المغرضين ، لأن عبقرية هذا الشعب هي : البلاغة والبيان قوة الحجة . وحجة نظرى هى أن القرآن الكريم هو إعجازهم ؛ ثم إن القرآن نفسه

(١) إقرأ كليان هوار الجزء الأول « تاريخ العرب » وأيضاً الكتاب الحديث فى نفس الموضوع لحتى

(٢) إقرأ لكلبرك الجزء الأول فى كتابه « الطب عند العرب »

(١) اقرأ بيكافيه فى التقرير الرسمى لمدرسة الدراسات العليا فى سنة ١٩١٧ — ١٩١٨ وعنوانه « التثليث الفلوطيني والتثليث المسيحي »

(١) أنظر ابن خلدون مثلا فى مقدمته

يصرح قائلا فى ســورة « البقرة » بند ١٨٩ ، ١٩٢ « وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم، ولا تمتدوا إن الله لايحب المتدين » ويقول : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله ، فإن انتهوا فلا عدوان إلا على الظالمين » . ويقول : « لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغيّ فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم » ؛ وكذلك فلسفة أرسطو فى مجموعها أقرب إلى عقولهم البدوية من فلسفة أفلاطون لأنها نسبياً أقل تجريداً [1] ، ويذكر أيضاً أن عقلية العرب عقلية «جامعة» وفلسفة أرسطو تنسجم وهذه الصفة لأنها موسوعة عامة للمعارف ، ولكن بالرغم من هذه الرغبات فى فلسفته ضاع أرسطو على حقيقة أمره فيما بينهم ، لأنهم ألبسوه زياً مخالفاً لزيه اليونانى الأصيل ، فأرسطو العرب شخصية جديدة أقرب إلى أفلاطون منها إلى أرسطو نفسه ، وهذا راجع فى نظرى إلى أن علم الالهيات عن أفلاطون وعند فلوطين « على وجه الخصوص » أقرب إلى تعاليم الاسلام منه عند أرسطو ، وهذا العالم كان طوال العهد اليونانى ، والقرون الوسطى ، بل حتى عند ديكارت فى العهد الحديث عندما يتكلم عن تقسيم العلوم [2] أساساً لسائر العلوم والفلسفات ، وبجوار ذلك هناك سبب آخر هو انتشار مذهب أفلاطون وفلوطين فى بلاد الشام والعراق إبان الترجمة اليونانية في القرن السابع والثامن كما يؤكد هذا فرنسوا نو، وتأثر المترجمين المسيحيين بهذا التراث ، بعد ذلك إبان ترجمة القرن التاسع الميلادى في عهد المأمون

ونشعر أنه من العبث بعقول القراء أن نسرد حوادث تاريخ هذه الترجمة فنذكر مثلا : حياة كل مترجم وما ترجمه ومحتويات كل كتاب ، فهذا ممل ، ولأن الحوادث لا قيمة لها مطلقاً فى ذاتها فهم يجدون هذا مثلاً فى القسم الأول لكتاب كارادي فو عن ابن سينا ، وفى كتاب « الطب عند العرب » بجزئيه للكارك وعند بريبه، وعند منك ... وهلم جرا

(١) اقرأ أستاذنا العلامة لاسباكس أستاذ الفلسفة بجامعة كليرون ، ورئيس المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية ، والسكرتير السابق للوزير بريان فى كتابه المعنون : «التفكير فى شمال أفريقيا »

(٢) إقرأ ليار ، مدير جامعة باريس السابق

ونكتفى بما قدمنا من الصفات الأساسية من ناحية اختصاصنا — الفلسفة — والمهم من ذلك فى نظرى أن يقف القراء على الفهم الأوربى الحديث للتراث الاسلامى الذى بنى على هذه الترجمة ، وهذا الفهم يتشعب خلال ثلاث مدارس نكتفى اليوم ببسط فهم المدرسة الأولى :

مدرسة الفيلسوف رينان

ولد رينان (أرنست) فى بلدة ترجييه من مقاطعة بريتانيا فى غرب فرنسا عام ١٨٢٣ ، وتربى فى هذه البلدة تربية «دينية» سواء فى عائلته أم فى مدرسة هذه البلدة أم فى جو هذه المقاطعة التى يتغلغل فيها المذهب الكاثوليكى إلى أبعد مداه كما شاهدته بنفسى مندعامين . ثم ذهب إلى باريس ليتعلم فى مدرسة القساوسة، وما كاد ينتهى بنجاح فى دراسته ويرسم قسيساً حتى غلبت على أفكاره تلك النزعة « النبية » نزعة الكفر والإلحاد ، فترك حياة الدين والايمان ، ودخل الحياة الدنيا غير آسف على ما فرط فيه من قبل ، وحاز درجات علمية ممتازة من الجامعة والتحق بعد ذلك بالصحافة ؛ ثم ساح ورحل فى بلاد الشرق فكان فى سوريا عام ١٨٦٠ ، وفى فلسطين عام ١٨٦٣ حيث كتب «حياة المسيح» ثم عين أستاذاً فى «مدرسة الكليج دى فرانس» ، وبين عام ١٨٦٣ ، ١٨٨٣ ألف « تاريخ أصول المسيحية » وبين عام ١٨٨٧ ، ١٨٩٣ ألف كتابه العظيم « تاريخ بنى اسرائيل » وبعد سنة ظهر له « محاورات ومنتخبات فى الفلسفة » وفي سنة ١٨٨٣ « ذكريات الطفولة والشباب » وفى عام ١٨٩٠ « مستقبل العلم ... » وغير ذلك . ومات فى عام ١٨٩٢ ، والذى يهمنا بالنسبة للتراث الاسلامي أنه عرض فيما تقدم من المؤلفات وفيما سنذكره بعد ذلك لحياة محمد عليه الصلاة والسلام ، ولأصول الاسلام ، وللعقلية السامية ، وللاسلام والعلم ، ولفلسفة ابن رشد ، وناقش الشيخ الأفغاني فى جريدة « الديبا » [1] ، ولكن كل دراساته ومناقشاته هى طعن فى الاسلام ونبيه وأهله ومبادئه . فمثلا يقول فى كتابه دراسات فى تاريخ الأديان (صفحة ٢٠٠) «لم يعرف الشرق مطلقاً فى تاريخه تلك العظمة العقلية الخالصة التى

(١) انظر كتاب أستاذنا الفيلسوف الجامع بين الحضارتين ، فضيلة مصطفى بك عبد الرازق عن رسالة التوحيد بالفرنسية

لا تحتاج إلى الرجوع إلى المعجزات ، ويصعب عليــه تصور فيلسوف لا يعمد إلى التهريج ، ولم يصل الشرق مطلقاً إلى درجة التجريد العقلي لأنه نظر إلى الطبيعة والتاريخ بعيون صبيانية ...» (وفي صفحة ٢١٠) يصور النبي عليه السلام كرجل مخادع دجال يخترع الكذب باسم الملاك جبريل . (وفي صفحة ٢٤٥) روى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يربي ديكا عجوزاً احتفظ به ليدفع عنه سوء الدين ، ويصد عنه حظر النظرات الحاسدة . ثم بعد أن يتحدث في هذا الكتاب عن رفق النبي صلوات الله عليه ، بالحيوانات والأطفال والنساء يتخذ من هذا الرفق آية لإثبات ضعفه ، وينتهي (في صفحة ٢٥٠) بأن يقرر أن الذي أسس الاسلام وشيد صرحه هو سيدنا عمر رضوان الله عليه لأنه يماثل كما يذكر القديس بولس في المسيحية

ويحمل هذا الرجل عقله ونزعته هــذه في فهم ما ترجم من الفلسفة في الإسلام فيسطر في نفس الكتاب (صفحة ٢٠٠ الملاحظة الأولى في الهامش) ما ترجمته : « عند ما اتخذ العرب من أرسطو معلماً لهم في المعارف ، اخترعوا له خرافة تجعل منه نبياً ، وتصوروا أنه قد انتزع من السماء حيث كان يلتصق بعمود من نار » ويذكر كذلك رينان في كتابه «مقالات ومحاضرات» أن الفلسفة الإسلامية ما هي إلا الفلسفة اليونانية « مخطوطة » بحروف عربية ، لم يهضمها العرب لأن الإسلام دين لا يسمح بحرية التفكير وروح النقد ، وعند ما يدرس هذه الفلسفة يدرسها بحركة « عكسية » لا تتفق وأولى مبادئ تاريخ الفلسفة كعلم محترم له أصوله في البحث لأنه يبتدئ بدارسة ابن رشد مع أن فلسفته لا تنفصل مطلقاً عما تقدمها من فلسفات ، وكل الناس يعرف معركة « التهافت » و « تهافت التهافت » ويصوره رينان في كتابه « ابن رشد ومذهبه » صفحة ٥٢ أنه لا يعرف كيف يكتب ولا كيف يفكر ، وأن لغته لغة همجية ، ومؤلفاته لا قيمة لها . تقل من مؤلفات نقلت هي بدورها عن مؤلفات أخرى نقلت عن الأصل اليوناني . وفي كتابه « تاريخ اللغات السامية » صفحة ٢٩١ يشك بوجه عام في علم فلاسفة الإسلام لأن علمهم كان بالواسطة، علم منقول بني على جهلهم باللغة اليونانية

آراء هذا الرجل بهــذا الأسلوب أفسدت الاستشراق الفرنسي « عدة من الزمن » من بعده ، حيث سار على نهجه ومبدئه (منك) في « الفلسفة العربية واليهودية » ، وكليمان هوار في كتابه «تاريخ العرب» وخصوصاً الجزء الثاني ، وكازانوفا في « محمد ونهاية العالم » ، وجوتييه تلميذه الأصيل في رسالة عن « ابن رشد » . وسبب الضلال في هذا الاستشراق يرجع أولاً إلى ذلك المذهب الذي انتشر في زمان هؤلاء الناس ، وهو المذهب الوضعي الذي ينكر أهمية الأدباء ، ويهاجم أصول العقل التجريدي ويقر بعكس ذلك دراسات المظاهر الخارجية في الطبيعة والانسان بمنهج التجربة ، وأمله أن يجعل من علوم الإنسان الأدبية علوماً لا تقل في دقة أبحاثها عن علوم المادة . لهذا شجع هذا المذهب النزعة الإلحادية في فرنسا إبان ذلك العهد ويقول رينان بهــذا الصدد في كتابه« مقالات ومحاضرات» صفحة ٤٠٦ ما ترجمته : «أقول دائماً ولست بحاجة أن أكرر إن العقل البشري يجب أن يتنزه عن كل المعتقدات الدينية ، وأن يحصر مجهوداته في مجاله الخاص وهو إقامة العلم الوضعي » . وسبب آخر أن في زمان رينان شاعت هيبة الاسلام والمسلمين في فرنسا لفتحها بلاد الجزائر بحد السيف وظهور كتب عن تلك البلاد تمثلها في حالة وحشية وتأخر وانحطاط ، ككتب القائد دوما ؛ وهذا ما قوى النزعة العدائية للاسلام ، فرينان يقول عن غايات العلم في الكتاب المتقدم ذكره صفحة ٤٠٠ ، ٤٠١ : « العلم هو روح المجتمع لأن العلم هو العقل وهو يخلق التقدم الحربي والرقي الصــناعي ... ولو أن عمر وجنكيز خان وجدا أمامهما المدافع مصوبة لما تقدموا خطوة واحدة عن حدود الصحراء »

وسبب ثالث أن دراسات الاستشراق في عهد رينان لم تكن متقدمة بشكل يوجب احترامها العلمي ، بل كانت في الغالب تراجم وتعليقات لبعض مفكري العرب قام بها أعضاء «الجمعية الأسيوية». ورينان نفسه يكتب تارة في الأدب ، وتارة في الفلسفة ، وتارة في الدين ، وتارة في اللغة ، مما دعا بيكافيه أن يحكم في أحد كتبه القيمة أنه رجل « يقلب أوضاع الأشياء والمسائل » وزد على ذلك اختمار النزعة الصليبية في عقله الباطن وتملكها على أفكاره في الحكم على من يخالف تعاليم دينه الأول قبل إلحاده وكفره

وزندقته فهو مثلا (كما يذكر هو فى كتابه «مقالات ومحاضرات» صفحة ٣٠٦ ، ٣٠٧) لا يتصور أن مسلماً مثل الشيخ رفاعة الطهطاوى يؤلف كتاباً عند عودته إلى مصر من باريس (على ضفاف السين) يشرح لبني وطنه حياته كطالب فى فرنسا وفهمه لحالة العلم فيها وسبل الحياة فى مرافقها . وسبب أخير أن « أشباه المستشرقين » هؤلاء آمنوا إيماناً مطلقاً بما روى لهم فى كتب تاريخ الفكر الاسلامى معتقدين « أن صاحب الدار أدرى بما فيها » مع أن هؤلاء المؤرخين أبلغ منهم فى التسكع فى هذا الباب . فرجل كالشهرستانى يكتب فى الفلسفة عن طريق السماع والرواية وعدم الرجوع إلى ما ترجم من النصوص الفلسفية . وعند ما يكتب عن أفلاطون يخطئ حتى فى كتابة اسمه مما دعا أحد هؤلاء المستشرقين — كما يؤكد مهرن — فى مجلة جامعة لوفان أن يعتقد أنه يبسط آراء الشيخ اليونانى « صاحب التاسوعات » وعند ما يعرض للكلام عن أرسطو يصوره كإله الفلاسفة ؛ ويذهب لابن سينا للتحدث عنه ، رجل كالقفطى إذا تحدث عن الفلسفة تركها وترك أصولها وتكلم عن الفلاسفة في حياتهم الخاصة وأنسابهم وأمهاتهم وأولادهم وغير ذلك من تافه الأمور ؛ ورجل كالفارابى تختلط فى ذهنه فلسفة أفلاطون وأرسطو فيعمد إلى التوفيق العقيم بينهما مع أن الأصول الأولى للعقلية الفلسفية هى الدقة فى الادراك والتصور ، والتمييز بين تنوع الآراء المتقاربة ووضع حد فاصل بين المعتقدات والمذاهب (اقرأ نظرية أرسطو فى التعريف) . فانعدام الفهم الفلسفى فى عقلية بعض من اهتم بالفلسفة من المسلمين ضلل المستشرقين الأولين . واستمر هذا الضلال فى الفهم إلى أوائل القرن العشرين حيث ظهرت مدرسة جديدة فى فرنسا تحترم تعاليمها فى الاستشراق لأن أفرادها يغنوا العلم وحده دون أغراض تخرج عنه فى نزعاتهم الفكرية . وهذه المدرسة مهدت بدورها لمدرسة ظهرت فى أوائل هذا العام فقط هى أبلغ من الأولى ، سنعرض لها فى وقت آخر إن شاء الله

« يتبع » عبد العزيز عزت

عضو بعثة الجامعة المصرية لدكتوراه الدولة

التاريخ في سير أبطاله

ابراهام لنكولن

هدية الأحراج الى عالم المدنية

للأستاذ محمود الخفيف

— ١٠ —

يا شباب الوادي ! خذوا معاني العظمة في نقها الأعلى من سيرة هذا العصامي العظيم

وما كان دوجلاس ليعجز عن أن يبرر عمله أو أن يتلمس له الأوجه القانونية ؛ وإذا عجز دوجلاس عن هـذا فمن يقدر عليه ؟ وإنه لأعلم الناس يومئذ بألاعيب السياسة وأضاليلها ، يصدر في ذلك عن طبع وعن خبرة ويسدد الرمية في لباقة وخفة ..

ولم يكن اهتمام دوجلاس بتلك المسألة إلا جزءاً من خطته التي رسمها وأراد أن يدلف بها إلى الغاية التي لا يرى دونها غاية ؛ وهو يتحرق شوقاً إليها ويتقطع تلهفاً عليها ؛ ولا يفتأ يتبين السبيل المؤدية مهما كانت وعورة مسالكها . والآن تسنح الفرصـة فيقتنصها وهو باقتناص الفرص جد خبير . موه على الناس أنه يمكن لسلطان الأمة إذ يرد مسألة العبيد إلى رأى الأمة ، وأنه بذلك يجعل كلة الشعب هي العليا لا كلة مجلس الاتحاد . وهو إنما يرمى إلى كسب قلوب أهل الجنوب الذين كانوا من أول الأمر يرون أن يكون لكل ولاية من الحرية ما لاتتلاشى معه شخصيتها في الاتحاد ، والذين يريدون أن يتخلصوا اليوم من قيود اتفاق ميسوري ...

وإننا لنلمح فيما فعل دوجلاس مهارة الرمية ، كما نلمح فيما يقول حذق السياسي وفكره وسـعة حيلته . وكم في الحياة له من نظراء ممن يأخذون في سياستهم بآراء أستاذهم الأكبر مكيافلي لا يحيدون عنهـا ولا يفوتهم شيء من تفاصيلها ودقائقها كأنما عاد أستاذهم نفسه يصرفهم ويوجههم ؛ ولقد برع دوجلاس في هـذا المضمار فأنه ليجعل الغاية هي عنده كل شيء ولا عبرة بعد ذلك بالوسيلة . وهل كان مثله من السذاجة والبساطة بحيث يتمسك بشرف الوسيلة ويرعى جانب الفضيلة فيؤدى بذلك إلى فوات الفرص وضياع الغاية ؟ كلا إنمـا كان هو أقوى من أن يتطرق إليه مثل هذا الضعف وأذكى من أن تنطلي عليـه مثل هذه البلاهة

ولـكن لنكولن لا يعرف المراوغة ؛ ولا يدرى ما الالتواء . فهل له طاقة بمناضلة ذلك القزم الماكر الخاتل ؟ وماذا يجدى على ابراهام طوله والمسألة اليوم مسألة مدافعة ومقارعة ، وليست هى مسألة مكافحة ومصارعة ، كما كان الحال يوم لف ذراعه الطويلة حول أرمسترنج وألقى به على الأرض ؟ ... إن الفرق بين الرجلين هو الفرق بين الطبيعتين ، فهذا ماكر محتال غامض كالبحر ، وذلك بسيط ساذج صريح كوجه السهل ...

خطا دوجلاس خطوته وحمل المجلس على الأخذ برأيه فترك لأهل كنساس أن يختاروا ماتكون عليه ولايتهم إذا ضمت إلى الاتحاد ؛ وجرى الانتخاب التمثيلى فيها على أساس التسليم بمبدأ العبيد أو رفضه ؛ ولو أنه تركت الولاية وشأنها حقا لهان خطب ذلك الانتخاب ولمر دون أن يعقب ضررا ، ولـكن كثيرين من أنصار التحرير ومن المنادين بمقاومة انتشار العبيد من أهل الشمال هاجروا الى تلك الولاية ليشتركوا فى الانتخاب ، كما هاجر اليها كذلك عدد عظيم من أهل الجنوب وفى أيديهم أسلحتهم . والتقى الفريقان هناك وبينهما من البغضاء والشحناء ما أوقد نار الحرب وذلك أن أهل الجنوب قد حالوا بقوة السلاح بين خصومهم وبين مايخوله لهم القانون من التصويت ففاز بالغلبة رجل من أنصار اعتناق العبيد ؛ ولـكن أهل الولاية ومناصريهم من أهل الشمال احتشدوا فى مكان آخر واختاروا رجلا من دعاة التحرير ، فقامت لذلك الحرب بين الحزبين ولبثت نارها مشبوبة بينهما زهاء عامين. وفطن الناس إلى أن هذه الحرب إنما هى مقدمة الحرب الأهلية الـكبرى

انتهت فى تلك الأثناء مدة مجلس الشيوخ ، وانصرف الأعضاء الى البلاد يدعون لأنفسهم من جديد ؛ وكان دوجلاس نائباً عن شيكاغو فى شمال الينوس ، فذهب إلى هناك يدعو لنفسه ، ولـكن هاله مارآه من انصراف الناس عنه ، فهو أينما تولى يجد من الناس نفورا وإعراضا بل إنهم كانوا يجبهونه بالسوء من القول ويظهرون

له ما باتوا يضمرونه من حقد ومقت .

وإنه ليجزع ويستولى عليه الحنق إذ يرى الرايات فى شيكاغو منكسة فى هامات السفن ، ويرى الجدران وعليها عبارات صارخة تلذع قلبه ، ويسمع النواقيس تجلجل فى الجو فى نغمة حزينة كأنما أصبحت المدينة في مأتم شعبي وهو يحاول أن يخطب الناس وهم يرعدون فى وجهه ويسلقونه بألسنة حداد ، حتى يرغموه على الرحيل وقد امتلأ قلبه عليهم غيظاً كما امتلأ منهم كمداً .

وينتهى به المسير إلى سبرنجفيلد ولو كان يعلم الغيب لتحول عنها ، ففى تلك المدينة سيأفل نجمه وسيبعد ما بينه وبين غايته . وكانت المدينة يوم وصوله إليها تموج بالناس إذ كانت فى موسم سوق من أكبر أسواق الزراعة . ولقد خيل إليه أن له فى وجود هذا الجمع الحاشد فرصة ...

وكان حزب الهوجز يومئذ فى الشمال فى أخريات خطواته إلى الفناء ؛ بينما كان يولد حزب آخر سيأخذ عما قريب مكانه هو الحزب الجمهورى ؛ وكان لنكولن هو الرجل الذى اتجهت إليه أنظار أهل المدينة ليكون لسانهم فى الحزب الجديد . لهذا ولما اشتهر به بينهم من خلال أكبروها ، لم يجدوا من هو أقدر منه على مدافعة دوجلاس ؛ وهكذا التقى الرجلان من جديد فى عراك عنيف ولم يلتقيا منذ كانا نائبين فى مجلس المقاطعة

وقف دوجلاس يخطب ، وكان وهو فى صغر جرمه قزم أو كالقزم ، مارداً جباراً برأسه الضخم ولسانه الذى لا يقف ، ونشاطه الذى لا يفتر ، ودهاؤه الذى لن ينخلع عنه ، ومهارته التى لا تغيب ولا تتخلف مهما تعقد الموقف ، والتوت مذاهب الكلام

ولقد كان دوجلاس فى الحق من أقوى الرجال فى عصره إن لم يكن أشد منهم جميعاً قوة ، وكان الحزب الديموقراطى يباهى به ويفتخر وهو يعتقد أن لم يبق بينه وبين كرسى الرياسة إلا خطوات مع أنه لم يكن قد خطا الأربعين بعد ...

أخذ يخطب ويدافع عن رأيه فى حماسة وكياسة وإنه ليشعر أنه يطلق آخر سهم فى كنانته ! وكان محور دفاعه أنه يعمل على توطيد سلطة الشعب : وكانت العبارات ممسولة والحجج تأتى فى روع السامعين أن لا سبيل إلى رفضها إذ لم يكن ثمة من سبيل إلى نقضها

وجاء دور لنكولن فى اليوم التالى ، واحتشد الناس ليروا ما عساه أن يقول فى الرد على هذا الداهية ، ووقف ابن الأحراج يقابل الدهاء بالصراحة ، والمكر بالصدق ، والغرض بالإخلاص ، والمراوغة باليقين ، والباطل بالحق ، والدليل الأعرج بالمنطق الأبلج ، ومن وراء هذا كله عبقرية دونها كل تأهب بل وكل كفاية ، واستمع الناس إليه ثلاث ساعات وبعض الساعة ومنافسه يعض على نواجذه وينقم على تلك الأقدار التى ألقت به بين براثن ابن الغابة ...

بدأ خطابه بقوله أنه لا يتوخى إلا الحق ولا رائد له إلا الصدق ، فإذا أحس مستر دوجلاس خطأ فأنه ليسره أن يرده لساعته إلى الصواب . ولقد استغل دوجلاس هذا الحق وجعل يقاطعه بين حين وحين ليلويه عن قصده وليلبس عليه الأمر حتى ضاق لنكولن بتلك المقاطعة فصاح قائلاً : أيها السادة! إنى لا أستطيع أن أنفق وقتى فى مساجلات ، وعلى ذلك فإنى آخذ على نفسى المسئولية أن أحق الحق وحدى فأعفى بذلك القاضى دوجلاس ضرورة تلك التصحيحات المنيفة » ... وأخذ بعدها يتكلم والأبصار شاخصة إليه والسكون شامل مع شدة ازدحام المكان ، والخطيب المرتجل لا يعرف اضطراباً ولا اعوجاجاً ، يهدر كالسيل لا يصرفه عائق عن وجهه ، وكأنما كان ينطق عن وحى ، فما سمعه الناس من قبل يقول مثل هذا الكلام ولا رأوه يبين مثل هذه الابانة ؛ وهو فى حركاته وإشاراته ونبرات صوته موفق توفيقاً ما شهد الناس مثله من قبل

وفرغ من خطابه وهو فى قلوب قومه أرفع قدراً وأكثر محبة عما كان ومنافسه مبتئس زائغ البصر ، موزع الفؤاد بين كلمات الاستحسان تنثر على صاحبه كما ينثر الزهر وكلمات الاستهجان تصوب إليه كما تصوب السهام .. ونظر فإذا هو بما أدلى من حجج كالعنكبوت اتخذت بيتاً ، ولم يبق فى قلوب الناس من أثر لما ردده من عبارات معسولة تدور حول سلطة الأمة ، إذ لم يترك له ابراهام دليلاً إلا سفهه وأظهر للناس ما يقوم عليه من بهرج وما يستتر وراءه من طلاء . وبهذه الخطبة فتح لنكولن فصلاً جديداً فى تاريخ حياته وقطع شوطاً كبيراً عوض عليه ما فات من ركود ...

ومهما يكن من تفوقه ونباهة شأنه فى هذه الخطبة ، فإننا نستطيع أن نعود بالسبب إلى حد كبير — على صفاته الأساسية

التى فطرعليها ، وفى مقدمتها تبين مايعرض له والنفاذ إلى جوهره ثم الاستعانة بذلك على توضيح ما يريد أن يقول فى يسر وبساطة ومع توخى الصدق والأمانة كما يفعل حين ينبض فى المحكمة للدفاع ، هذا إلى لقانة عجيبة يميز بها فى سرعة الصواب من الخطأ والحق من الباطل ، وذهن منطقى كأنه الميزان الدقيق يحس قبل أن يدرك أن هذا عليه مسحة الشك وذاك عليه نور اليقين

قال يرد على دوجلاس قوله أن من الامتهان لأهل كنسكا أن نعتبرهم غير جديرين بأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم ، « انى أسلم أن المهاجر الى نبراسكا جدير أن يحكم نفسه ولكنى أنكر عليه الحق فى أن يحكم شخصا آخر بغير رضاء ذلك الشخص » ولقد كانت عبارته هذه كالرمية القاتلة فهي تهدم مابنى دوجلاس من أساسه ولاتدع لمبدأ سلطة الأمة الذي نادى به أى قيمة . وقال فى رده على دوجلاس إذ يدعى أن الحكومة إنما أقيمت لصالح البيض لالصالح الزنوج « انى أوافق على ذلك من حيث الواقع فى ذاته ، ولكنى أرى فى هذه الملاحظة التى ساقها القاضى دوجلاس معنى هو عندى مفتاح تلك الغلطة الكبرى (ان كان ثمة من غلطة كهذه) التى فعلها فى قرار نبراسكا ؛ انها تدل على أن القاضى لايقوم فى ذهنه مؤثرحى يريه أن الزنجى انما هوانسان وعلى ذلك فليست تقوم فى رأسه فكرة عن ضرورة وجود العنصر الخلقي عند التشريع له » …

وبعد الخطبة وقف دوجلاس ليرد ولكن مذاهب القول التوت عليه وخانته بديهته فجعل بينه وبين الناس موعدا فى المساء لايخلفه ، وحل المساء وارتقب الناس ولكنهم لم يجدوا الخطيب ..

وبعد ذلك باثنى عشر يوما ذهب لنكولن ليخطب فى بلدة أخرى هي بيوريا ؛ ولقد تبعه دوجلاس الى هناك لعله أن يظفر هذه المرة . ولم يرتجل لنكولن كما ارتجل فى سبرنجفيلد بل قرأ من أوراق ؛ ويشهد الذين سمعوه فى المرتين أنه كان يوم ارتجل أعظم شأنا وأبعد أثرا ؛ أجل كانت خطبته الثانية أحسن بناء وأحكم نسجا وأقوى منطقا ولكنها لم تكن أكثر سحرا . . .

ولقد بدأ دوجلاس فى بيوريا كما بدأ فى سبرنجفيلد واستمر يخطب ساعات ثلاثا، ورد لنكولن فى المساء فاستغرق خطابه مثل هذا الزمن . ومما جاء فيه قوله عن قرار نبراسكا « ان هذا القرار يعلن الحياد ولكنه يضمر حماسة حقيقية لانتشار العبيد لايسعنى إلا أن أمقتها ، لما تنطوى عليه العبودية فى ذاتها من جور قبيح ، وأمقتها لأنها تسلب نظامنا الجمهورى الذى نسوقه للعالم مثالا من أثره الحق فى الدنيا ، وأمقتها على الأخص لأنها تدفع كثيراً من رجالنا الأخيار الى حرب صريحة ضد المبادىء الأساسية للحرية المدنية ، وهم يوجهون انتقادهم الى اعلان الاستقلال ويصرون على اعتقادهم أنه ليس ثمت من مبدأ حق تقوم عليه أعمالنا وأنه ليس إلا المصلحة الشخصية » وقال فى معرض آخر : « ان مبدأ حكم الشعب نفسه مبدأ صحيح ؛ هو مبدأ صحيح دون أدنى شك وهو الى الأبد صحيح .. ولكن إذا كان الزنجى رجلا ، ألسنا — بقدر مافى المبدأ من صحة — نرى أننا إذا حرمناه من أن يحكم نفسه إنما نحطم بذلك مبدأ سيادة الشعب ؟ حينما يحكم الرجل الأبيض نفسه يكون ذلك مبدأ سيادة الشعب ، ولكنه حينما يحكم نفسه ويحكم فى الوقت ذاته رجلا آخر فأن ذلك يكون أكثر من سيادة الشعب فهو الاستبداد … ليس فى الناس من يتوفر لديه الخير ليحكم غيره دون رضاء ذلك الغير ، هذا هو المبدأ الأول والمرفأ الأمين للنظام الجمهورى الأميركي » .

ذلك منطق ابن الغابة وتلك آياته وهو الذى نشأ كما رأينا عصاميا فى أوسع معنى لتلك الكلمة ! انما يصدر الرجل عن طبع ويترجم عن فطرة مثله فى ذلك مثل غيره من أعلام البشر وقادة القافلة فى طريق الانسانية …

يتبع الخفيف

هل ينبغي أن تزاحم المرأة الرجل؟

للآنسة زينب الرافعي

قامت في كلية الآداب بالجامعة المصرية مناظرة بين طائفتين من طلبة الكلية وطالباتها حول الغاية التي تتعلم من أجلها الفتاة: أهي تتعلم لتزاحم الرجل في ميدانه، أم لتشق طريقها لنفسها في الحياة؟ والمقالة التالية هي كلمة الآنسة الأديبة زينب الرافعي في هذه المناظرة، ولها كانت الغلبة. والآنسة زينب هي كريمة الفقيد الكريم المرحوم مصطفى صادق الرافعي

رجل وامرأة: هذه قسمة الطبيعة، فهل كانت عبثاً؟

رجل وامرأة: هما العنصران اللذان تتكون منهما الانسانية، فهل أخطأت الطبيعة حين جعلت معنى الانسانيـة يتكوّن من عنصرين لا عنصر واحد؟

عجباً! إن الانسان لا يمكن أن يقهر الطبيعة وهو جزء منها، لأنه خاضع لسلطانها، لأنها بقوانينها الصارمة تسيطر عليه وتوجهه وجهته من غير أن يكون له اختيار

إن القوانين لا توضع لمصلحة فرد واحد، ولكنها تشرع لمصلحة الجماعة عامة، والقانون الذي فرضته الطبيعة على البشرية أن الانسانية اثنان: رجل وامرأة، فكيف تريدونه على ذلك التفسير الخاطئ حين تقولون إن الانسانية رجل ورجل: رجل له شارب ولحية، ورجل ناعم أمرد...

اذكروا لي إنساناً واحداً يستطيع أن يقول بعقل: لماذا يمشي الناس على أرجلهم ولا يمشون على أيديهم؟ قد تكون الأرجل أقوى وأشد صلابة من اليدين، وهي بذلك أقدر على عمل الأيدي، ولكن الطبيعة خلقت الرّجلين ليمشي بهما من يريد أن يمشي، وخلقت اليدين لتعمل؛ فما أحمق من يتخيّل إنساناً يستطيع أن يجعل رجليه لغير المشي ويديه لغير ما تعمل اليدان! هكذا خلقت الطبيعة الانسان، والطبيعة قانون عام مطاع لا يجدي أن يتمرد عليه متمرد...

ولكن تعالوا حدثوني حديثكم عن المعنى الذي تريدون حين تزعمون أن من حق المرأة أن تنافس الرجل في ميدانه، وأن تضطلع بما يضطلع به من العمل؟

أتريدونها أن تحمل الفأس، وتجرى خلف المحراث، وتحرس قنطرة الترعة، وتمهد السكك الزراعية ...؟

أم تريدونها على أن تعمل بالمنشار، وتدق بالقدوم، وتصعد على الخشب الممدود فوق الماء لتبني، وتحفر حيطان البيوت لتضع أسلاك النور وأنابيب الماء ...؟

أم تريدونها على أن تقف في خطوط النار وفي جرابها سيف يلمع، وعلى كتفها بندقية تقذف بالشرر، أو تجري على الصخر وراء المدفع وفي يدها زناده، أو تحفر الخندق بيديها الناعمتين لتصد عدوان المغير، أو تبني الثكنات لتقيم فيها أخواتها العسكريات الرشيقات الخفيفات الأجسام ...؟

حدثوني أيها المؤيدون، أتريدونها لهذا الهون عليكم وتبتذل وتذل، أم تريدون لها النعمة والصون والعزة؟

ما أهون شأنك عند نفسك أيتها الفتاة لو لبيت هذا النداء!

* * *

أسمع همساً تختلج به الشفاه: إنهم يقولون: لسنا نريد لها هذا. فحدثوني ماذا تريدون؟ أتريدونها للقضاء والنيابة، ولإدارة الأعمال في المتاجر، وللكتابة والحسابة، وللقيام على شئون الطلاب في المدارس والكليات، وللدفاع عن المظلومين في المحاكم، ولتخطيط الصورات الهندسية للبناء؟

حسَنٌ! قد يكون هذا خيالا لذيذاً يداعب كل فتاة في أحلامها، ولكن ... ولكن ليس الرجال جميعاً نواباً، وقضاة، وتجاراً، وكتبة وحسبة، ومعلمين ومحامين ومهندسين

إن هذه الوظائف على كثرتها لا يقوم بها إلا ربع الرجال، وثلاثة أرباعهم لغير ذلك من المهام الشاقة والأعمال المضنية، فخبريني يافتاة: أتريدين أن تكوني رجلا كاملا يقوم بواجباته كلها ويحتمل ما عليه من تكاليف الرجولة بشقائها وآلامها؟ أم تريدين أن تكوني ربع رجل؟ يا لها من صفقة خاسرة! إن أعدى أعداء المرأة لا ينتقصُ من مكانتها الاجتماعية بأكثر من دعواه بأنها نصف الرجل، فما لك ترضين بالأقل لتعودي ربع رجل ...؟

* * *

لا يا أختي، إن لك وظيفة أخرى غير مزاحمة الرجل في ميدانه، وإنها لأجل شأناً وأعظم خطراً من كل ما يقوم به الرجال

من أعمال . إن لك وظيفة الأم التى تلد الرجل ، ووظيفة المربية فى البيت التى تربى الطفل لتخلق منه الرجل ، ووظيفة الزوج التى تملأ قلب زوجها بأفراح الحياة لتشد فيه عزيمة الرجل

إنك سيدة الرجل فلا تبتذلى نفسك دون ذلك لتوهمى الرجل أنه خير منك

ثم ما ذا ؟ سأحاول أن أمزق النقاب قليلاً لأتحدث إليكم فى جرأة الفتاة التى تعتز بأنها فتاة ، لأقول لكم إن المرأة لم تخلق لتقوم فى الحياة بوظيفة الرجال : المرأة التى يستهويها الثوب الأنيق فتقف أمام المرآة طويلا تنظر إليه ، وتنظر إلى نفسها فيه — هذه المرأة لا تعرف قيمة الزمن ، والزمن هو الميزان فى كل الأعمال

ستحاول فتيات من زميلاتى أن يعترضن ، ولكن هذه هى الحقيقة . لقد خلقت المرأة وليس أحب إليها من زينتها شىء . الزينة لنفسها لا لشىء آخر ، وكأن كل أنثى تشعر فى أعماق نفسها أنها ليست شيئاً بغير الزينة . أجمل الجميلات وأدمّ الدميمات فى ذلك سواء ، فأين هذا من خشونة الرجل ؟ أترونها بذلك تصلح لأن تزاحمه وتعمل فى ميدانه ؟ هيهات يا أختاه ! وحذار أيتها الفتاة أن يخدعك معسول المنى ... إن مكانك هناك ...

هناك على العرش فى مملكة البيت أيتها المليكة

إلى هنا أقف قليلا لأنظر فى وجوهكم ووجوهكن أثر الاقتناع ومظاهر الطمأنينة إلى عدل الطبيعة

هل بلغتُ موضع الإحساس من نفوسكم ؟

إن شفاهاً تبتسم ، وإن همساً يتطاير من هنا ومن هناك .

إسمعوا :

هذه فلانة ناظرة مدرسة ثانوية من مدارس الحكومة ، فى الدرجة الرابعة أو الثالثة لا أدري ، تقبض كل شهر خمسين جنيهاً ، وتحكم على عشرين أو ثلاثين من خيار المعلمين والمعلمات ، وتسيطر بإرادتها على بضع مئات من بنات الطبقة العالية فى مصر ، تلميذاتها ، ولها فى البيت ولد ، ولها زوج !

أتحسبون أن هذه السيدة سعيدة بما بلغت من جاه وما أدركت من نجاح فى مزاحمة الرجل ؟

وارحمتاه لها مما تعانى ، وألف رحمة للأمة منها ، وألف ألف لزوجها المسكين ، وما شئتم من الرحمات فاستمطروها على ولدها المحروم ، اليتيم فى حياة أبويه

أتعرفون من يقومُ لها بشئون البيت ! لو كان هو زوجها لقلنا : شىء مكان شىء ! ولو كان له امرأة أخرى لقلنا : قد انتصف لنفسه ! ولو كان فى البيت مديرة مصرية لقلنا : ذهبت واحدة لعمل وحلت أختها في عمل غيره . ولكن . . . واأسفاه ! إنّ في البيت مديرةً حقاً ، ولكنها مديرةٌ أجنبيةٌ ، مديرةٌ لا تعرف من لغتنا ، ولا من تقاليدنا . ولا من ديانتنا ؛ مديرة ليس لها عواطفُ الأم ، ولا حنانُ الزوجة ، ولا غيرةُ الأخت ، حتى ولا شعور التراحم بالرابطة الوطنية ...

لقد ذهبت السيدة الجليلة لتزاحم الرجل ، ولكنها أخلت مكانها لأجنبية ، لقد باعت أمومتها واشترت الوظيفة ، لقد جحدت وطنيتها حين جحدت أنها امرأة ... ليت شعرى أليست تغارُ هذه المرأة ، أليست تغار على زوجها حين استهانت بالرابطة التى بينهما فاستأجرت له زوجة ؟ أليست تغار على ولدها الذى تجاهلت حقه فى حنانها فاستأجرت له أما ؟ أليست تغار على بيتها الذى لا تحل فيه إلا كما يحل المسافر فى فندق ؟ أليست تغار على وطنها حين أفسحت لامرأة أجنبية أن تكون مكانها سيدة بيت ؟

ليست هذه وحدها التى خرجت لتزاحم الرجل فى ميدانه فما زحمت إلا نفسها . إنهن كثيرات أيها السادة ، وإن أسفى لشديد ؛ نعم نجحت بضعُ نساء فى مزاحمة الرجل ولكن بعد ما أسلمن بيوتهن إلى الأجنبيات . لكأنى بكل امرأة من هذا النوع تهتف فى أعماق نفسها قائلة : « لقد احتلّ الرجال مراكز الأعمال جميعاً فَلْيَجلُوا عنها بقوة المرأة . ولا علينا بعد ذلك أن تحتل الأجنبيات كل بيوت مصر ! »

علموا لنا أولا مديرات البيوت وربات المنازل وأمهات الرجال وزوجات الأبطال ، ثم ادعوا بعد ذلك واستطيلوا وقولوا يجب أن تنزل المرأة إلى ميدان الرجل لتزاحمه حتى تجليه . ربّوها أولا على أن تؤدى وظيفتها الأساسية ، وظيفة الأم الصالحة التى تنشىء للأمة الرجال . ووظيفة الزوجة المسعدة التى تملأ بيتها أفراحاً ومسرة ، ووظيفة سيدة البيت التى تديره وتدبّره لتجعله جنة الأسرة ؛ ووظيفة المرأة الكاملة التى هى الحنان والعطف والرحمة والمحبة ، بإزاء الرجل الذى هو العقل والحزم والقوة واليد العاملة ؛ فإذا بلغتم الغاية من كل ذلك فافتحوا لها الباب وقولوا : اذهبى إلى الطريق راشدة فاصنعى ما تريدين ، وزاحمى الرجل إن وجدت السعادة فى زحامه

(يتبع) زينب الرافعى

ذكرى قاسم أمـــين

للأستاذ على الجارم بك

ملَّ من وجدِه ومن فرطِ ما به   وأراق الشرابَ من أكوابهْ
وإذا القلب أظمـــأته الأمانـــىّ ، فماذا يريده من شرابه ؟
وإذا النفس لم تكن منبِتَ الأنـــس ، تناءى القريبُ من أسبابه
وأشـدُّ الآلام أن تُلزمَ الثغـ   ـرَ ابتساماً والقلبُ رهنُ اكتئابه

* * *

كلما اختال فى الزمان شبابٌ   عصفت ريحُـه بلَدْن شبابه !
والنبوغ النبوغُ يمضى وتمضى   كلُّ آمال قومِـه فى ركابه
غَـرِدٌ ، ما يكاد يصدح حتى   يُسكتَ الدهرُ صوته بنُعابه
وحَبابٌ ، إذا علا الماء ولى   فاسأل الماء : هل درى بحبابه ؟
وسفين ، ما شارف الشطّ حتى   مزّق اليمُّ دُسْرَه بعبـابه
بخـل الدهرُ أن يطوّل للعقـــل فيجري إلى مدى آرابه

* * *

كلمـا سار خطوةً وقف المو   ت فسـدّ الطريقَ عن طلابه
وابتـداء الكمال فى عمل العا   مل بَدْءُ الشكاة من أوصابه
ضلةً نكتم المَشيب فيبدو   ضاحكاً ساخراً خلالَ خضابه
أين من يستطيع أن يرشد الدنيـــا ، وسوطُ المنون فى أعقابه ؟
أيها الموت أمهل الكاتبَ المســكين يُرسلْ أنفاسه فى كتابه

* * *

آه لو يشترى الزمان قريضى   بسنين تعدُّ لى فى حسابه !
ماحياتى ، والكونُ بعدَ جهاد   لم أزل واقفـاً على أبوابه ؟
تظمأ النفسُ فى حياة هى القفـــر فترضى بنهلة من سرابه
أنا قلبي من الشباب ، وجسمي   أثخن الشيب رأســه بحرابه
أملٌ هـذه الحيـاة ! فهل يســـتر بي الموت دون وشك طلابه ؟
كلمـا رمتُ لمحة من سـناه   هالنى بعدُه وطول شِعابه
ما الذى تبتغى يدُ الدهر منّى   ودمى لا يزال ملْءَ إهابه ؟
دع يراعى يا دهر يملأ سمع النـــيل من شدوه وعزف ربابه
كل شىء له نصاب سوى الفن   فلا حـــدٌّ ينتهى انصبابه

* * *

عصفت صيحة الردى بخطيب   وهو لم يَعدُ صفحة من خطابه
سكتةٌ أسكتت نشيج خضمٍ   عقـد النوء لُجه بسحابه
سكتة أطفأت منار طريق   كم مشت مصر فى ضياء شهابه
ومضى « قاسم » وخلف مجداً   تفرع النجم راسيات قبابه

* * *

قد نكرناه حين قام ينادى   وفهمنا معناه يوم احتسـابه
ربَّ من كنتَ فى الحياة له حر   باً شققت الجيوب عند غيابه
وتحدّيتَ شمسه ، فاذا ولّى   تمنيت لمحـة من ضبابه
لم يفز منك مرة بثنـاء   فنثرت الأزهار فوق ترابه
يُعرف الوردُ حينما ينقضى الصيـ   ـفُ ويُبكى النبوغ بعد ذهابه
كم ندبنا الشباب حين تولى   وشغفنا بالبدر بعـد احتجابه
كتب الله أن يعيش غريباً   كل ذى دعوة إلى الحق نابه
لا ترى فوق قمـة الطود إلا   بطلا لا يهاب هولَ صعابه
كلُّ ذات الجناح طير ، ولكن   عرف الجو نسره من غرابه
كم رأينا فى الناس من يبهر العـــين وما فيه غير حسن ثيابه
يملأ الأرض والسماء رياء   وعيوبُ الزمان ملءُ عيابه

* * *

نقد الناس « قاسماً » فرأوه   أصبر الناس فى تجرع صابه
حجة الجاهل المراء ، فان شا   ء سموا أسـدها بسبابه
قد يغشى الوجدان باصرة العقـــل فيعميه عن طريق صوابه
صال بالرأى « قاسم » لا يبالى   ومضى فى طريقه غيرَ آبه
كم جرىءٍ لا يرهب السيف إن سل   ونكس يخاف مسَّ قرابه
والشجاع الذى يجاهر بالحق   ولو كان فيه مرُّ عذابه
كيف يهدى النصيح إن ريع يوماً
من قِلَى من يحب أو إغضابه
وطريق الاصلاح فى كل شعب   عسِر المرتقى على مجتابه
يعشق الشعب من يدلله زو   راً بِمَذْقٍ من سخفه وكذابه

* * *

قمتَ للجهل تقلمُ الظفر منه   وتفضُّ الحداد من أنيـابه
فى زمان كان القديم به قد   ساً يذاد الجديد عن محرابه
يا نصير النساء والدين سمح   لو وعينا السرىَّ من آدابه
قد خشينا على الحمائم فى الدو   ح أظافيرَ بازه أو عقـابه
إن أردت الظباء تمرح فى السهل   فطهّـر أكنافه من ذئابه

كم ضراء وسط المدائن أذكي | من ضراء الضرغام فى وسط غابه
وشباك من الجرائم والخت | ل حواها شيطانهم فى جرابه
وإذا ما الحياء لم يستر الحسـ | ـن فماذا يفيده من نقابه ؟

* * *

قمت تدعو البنات للعلم فانظر | كيف حلقن فوق شم هضابه
وزها النيل بابنة النيل فاختا | ل يجرُّ الذيولَ من إعجابه
وغدا البيت جنةً بالتى فيـ | ـه خصيباً بالأنس بعد يبابه
يافتىَ الكرد، كم بززت رجالاً | من صميم الحمى ومن أعرابه
نسب المرء ما يعدّ من الأعـ | ـمال لا ما يعدّ من أنسابه
كم سؤال بعثت إثر سؤال | أيقظ النائمين رجع جوابه
كنت فى الحق للإمام نصيراً | والوفىّ الصفىّ من أصحابه
نم هنيئاً فمصر نالت ذرا المجـ | ـد وفازت بمحضه ولبابه
منك عزم الداعى وفضل المجلىّ | ومن الله ما ترى من ثوابه

علي الجارم

إلى المجهـــول

للأستاذ عبد الرحمن شكرى

المقدمة

الولوع بالمجهول من أمور الحياة والطبيعة والنفس والكون والشغف باستطلاعه وكشفه هو الذى أخرج الانسان من المعيشة فى الكهوف ومن حضارة العصر الحجرى من عصور الحضارة وأزال عنه خوفه من مظاهر الطبيعة ببحث تلك المظاهر ، وهو الذى أدى به إلى كشف القارات والبحار وزاد علمه بالسماء ، وعلمه ركوب الهواء فى الطائرات حتى طمع فى الوصول إلى الأفلاك ، وذلك الولوع بالمجهول هو الذي جعله يخترع مخترعات الحضارة التى زادت حياته بهاء ومتعة وراحة ولذة ، وجعله يجد لذة حتى فى ركوب الأخطار من أجل كشف مغاليق الكون والحياة والطبيعة ويستشعر اللذة حتى فيما قد يصيبه من الألم أو الهلاك فى أثناء بحثه المجهول من أمور الحياة والكون ، والولوع بالمجهول هو الذى أدى إلى سيطرة الأمم القوية التى تمكنت من كشف المخترعات التى زادتها قوة واستعلاء ، وإذا بحثت عما يميز أبناء الدول القوية التى تمتعت بالثروة والسطوة والعلم والحضارة عن أبناء الأمم المتأخرة التى لا تزال تعيش فى الكهوف أو الغابات أو فى المدن أو الأحياء المتهدمة القديمة القفيرة الموبوءة بالأسقام والأقذار المغلوبة على أمرها لرأيت أن صفة النفس التى ميزت أبناء الشعوب القوية السيدة المسيطرة على الحياة والناس هى الصفة التى تجعلهم يجدون لذتهم فى كشف مغاليق المجهول من أمور الحياة، والامة التي تريد أن تعلو وأن تأخذ مكانتها تحت الشمس ينبغى أن تهيئ لأبنائها نوعاً من التربية والتعليم يبث فى نفوسهم حب استطلاع المجهول وكشف مغاليقه . أما التعليم الذى لا يبث هــذه الصفة فى النفوس فهو تعليم لا يليق إلا بالذين يجدون لذتهم فى حياة الخمول من المألوف الذى أصبح كالمخدرات ، وكلما كان فقدان صفة حب استطلاع المجهول من النفوس أوضح وأظهر من أجل المؤثرات التاريخية المذلة المؤخرة كان ذلك أدعى إلى إصلاح نظم التعليم ، وإلى اتخاذ التربية التي تزيل هذه المؤثرات . والمراد بهذه القصيدة الدعوة إلى بث صفة حب استطلاع المجهول في نفوس النشء لأن نفوس النشء تحب استطلاع الغريب والمجهول بطبيعتها وترى لذتها فى ذلك قبل أن تملها التقاليد والأوضاع الخمول والقنوع بالمألوف ، ومن الخطأ أن يظن أحد أن عاطفة الشغف بالمجهول لا تنمى بالتربية وأنها قوة طبيعية فى الأمم القوية فحسب ... لا ... بل إن أسلوب التربية والتعليم قد يقوى هذه العاطفة التي هى أساس الرقي العلمى والاجتماعى الصحيح، وهذا الأسلوب من التربية ألزم فى الأمم الضعيفة لشدة احتياجها إليه

القصيدة

(الخطاب موجه إلى المجهول)

يحوطنى منــك بحر لست أعرفه
ومَهْمَهٌ لست أدرى ما أقاصيه[1]

أقضى حياتى بنفس لست أعرفها
وحَوْليَ الكونُ لم تُدْرَكْ مجاليه[2]

ياليت لى نظرة فى الغيب تسعدنى | لعل فيه ضياء الحق يبديه

إخال أنى غريب وهو لي وطن
خاب الغريب الذى يرجو مُقَاصيه[3]

أو ليت لى خطوة تدحو مجاهله
وتكشف الستر عن خافي مساعيه[4]

كأن روحىَ عُودٌ أنت تُحْكِمُهُ
فابسط يديك وأطلق من أغانيه[5]

والروح كالكون لاتبدو أسافله | عند اللبيب وَلاتبدو أعاليه[6]

(١) المهمه القفر (٢) المجالى مباديه
(٣) قاصاه باعده والمراد بالغيب هنا المجهول لا غير
(٤) تدحو تبسط
(٥) يخيل للمفكر أحياناً أن خواطر النفس وأفكارها ريح تهب عليها أو يد تحركها كما تحرك يد الموسيقى أوتار عوده
(٦) لأن اللبيب أدرى من غيره بعظم الروح

وأكبر الظن أنى هالك أبداً   شوقاً إليك وقلبي فيه ما فيه
من حسرة وإباء لست أملكه   يأبى لِيَ العيش لم تُدْرَكْ معانيه
وأنت فى الكون من قاص ومقترب
قد استوى فيك قاصيه ودانيه[1]
كأنني منك فى ناب لمُفْتَرِس   المرء يسعى ولغز العيش يُدْميه
كم تجهل العقل طفلاً حار حائرهُ   ورب مُطَّلَب قد خاب باغيه
لو النبال نبـال القوس مُصْمِيَةٌ
كنت ادَّريتَ بسهم القوس أرميه
أو كان للسحر سهم نافذ أبداً   لكان لى منه سهم صال راميه
يا مُصْلِتَ السيف قد فُلَّتْ مضاربه
ورامِيَ السهم قد خابت مراميـه
قلبي يحدثنى أن لا يليق به   رضا بجهل ذليل اللب يرضيه
قد ثار ثائر نفس عز مَطلَبُها   وطار طائر لب فى مراقيـه
كالنسر لا حاجب للشمس يحرقه
ولا الصـواعق والأرواح تَثْنيه[2]
وأنت كالليل والأفهام حائرة   مثل العيون علاها منك داجيه
ليل مهيب كليل البحر حندسه   تكاد تسمع منه صوت طاميه[3]
فليت لى فكرة كالكون واسعة
أدحو بها الكون تبدو لى خوافيه
ليس الطموح إلى المجهول من سفه   ولا السمو إلى حق بمكروه
إن لم أنل منه ما أروى الغليل به   قد يحمد المرء ماء ليس يرويه
والقانعون بما قد دان عَيْشُهُمُ   مَوْتٌ فإن خضوع اللب يُرْديه[4]
يا قلب يهنيك نبض كله حُرَقٌ   إلى الغرائب مما عز ساميه
فالعيش حب لما استعصت مسالكه
تجارب المرء تُدْميـه وتُمْليه
كم ليلة بتها ولهان ذا أمل   لم يُسْلِ قلبِيَ أن غابت أمانيه
لعل خاطر فكر طارقي عرضاً   يدنو بما أنا طول العمر أبغيه
يُوَضِّحُ الغامض المستور عن فِطَنٍ   وأفهم العيش تستهوى بواديه

عبد الرحمن شكرى

(١) أنت الخطاب كله موجه إلى المجهول
(٢) الأرواح الرياح
(٣) أشد ما يكون الليـل روعة الليل فى وحشة البحر ولذلك يشبه به المجهول
(٤) دان خضع وذل

شعر ابن تسعين!

كتاب الفصول والغايات

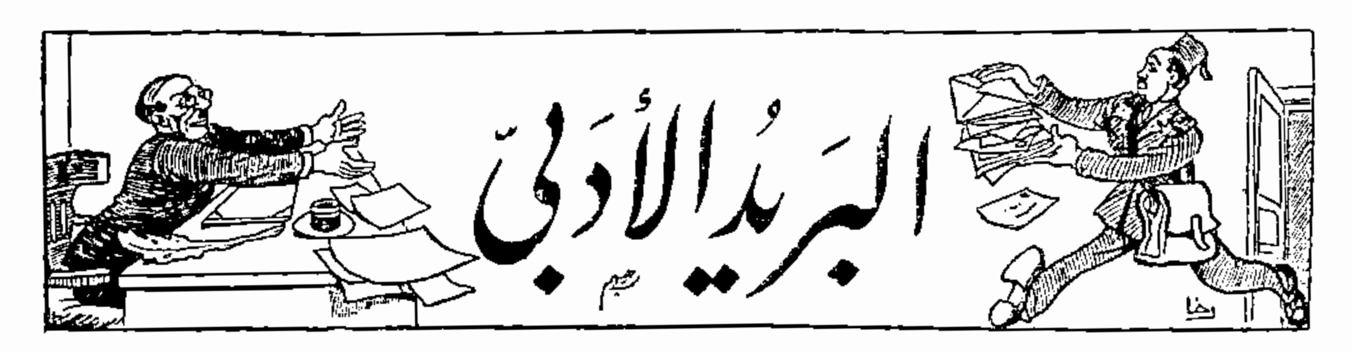
يا صاحب الرسالة الغراء :

إليك من شيخ قعيدة داره ، رهين كتبه وأسفاره ، تحية الأديب للأديب ، ومناجاة القريب للقريب . وبعد فإني لما قرأت فى رسالتكم الاعلان عن كتاب « الفصول والغايات » لشيخ المعرة حكيم الشرق اقتنيت منه نسخة وقرأتها فرأيت الشيخ الحكيم قد أتى فيه بالعجب العجاب ، ورأيت الشيخ الفاضل الزناتى قد أحكم فيه الصنيع ، وفاق كل أديب ضليع ، كيف لا وهو تلميذ شيخي اللغة المرصفي والشنقيطي

لذلك فقد جئت بأبيات مدحاً في الكتاب وناشره . وإنى مرسلها إليك لنشرها ، ولا أظنك إلا فاعلا إن شاء الله ، وإنى وقد جاوزت التسعين من عمرى لم أنشر شيئاً من شعرى قبل اليوم ، وها هي ذى الكلمة

أين منى أبو العلاء أحييـه وأهديه أصدق التهنئات
أنا فى مصر وهو فى الشام رهن الـقبر أعظم بفرقة وشتات
نال منـه يراع كل غبى   ورموه بأشنع السيئات
فتصـدى لنصره المعىّ   هو « محمود » عصره ابن « زناتى »
وانتضى ماضى اليراع فأبدى   عن « كتاب الفصول والغايات »
كان هذا الكتاب رجم ظنون   وشكوك تحتاج للاثبات
فجلاه للنـاس صفحة حق   نُشِّرَتْ بالعظات تلو العظات
وأفانين تبهر العقل لم تخـطر لندب سواه منتظات
وتولى تفسيره ببيان   واضح اللفظ ناضر الكلمات
فغـدا فى صنيعه عبقرياً   جل قدراً عن ناشرى الهفوات
ناشرى الكتب للتجارة لا للـعلم مملوءة من الغلطات
جاعلى النظم فى الطباعة نثراً   ونثير الكلام مثل الرفات
ونظمت القريض طوعاً لوجه الـعلم ماقلت فيه « خذه وهات »

محمد بن على الدرعى



وزارة المعارف وجائزة نوبل

رأت وزارة المعارف أن تعمل على حث المؤلفين المصريين على الاشتراك في جوائز نوبل جهد الطاقة ، ومهدت لذلك بأن فكرت في أن تشكل إلى الشعبة المحلية للمعهد الدولي للتعاون الفكري في مصر مراقبة ماينشر كل عام من المؤلفات والبحوث العلمية والأدبية التي تمتاز بالدعوة إلى تحقيق المثل الأعلى في الحياة الإنسانية وتخصيص جائزة محلية كل عام لصاحب أحسن كتاب يمتاز بالطابع المشار إليه توطئة للاشتراك في مسابقة نوبل العالمية

وترى وزارة المعارف أنه يجب على أغنياء المصريين أن يساهموا بنصيبهم في هذا الباب ، فليست التبرعات وقفاً على إنشاء المساجد والمستشفيات وتقديم الكؤوس للألعاب الرياضية ، وإنما يجب أن توجه أيضاً إلى تشجيع الانتاج الأدبي والفني بأن يقوم الأغنياء بوقف جوائز شعبية باسمهم إلى جانب الجوائز الحكومية

ويمكننا تلخيص الشروط لجائزة نوبل فيما يلي :

١ — ليس من حق الأكاديمية السويدية أن تتخذ الخطوة الأولى في الترشيح للجائزة مهما تمتع الشخص بالمؤهلات اللازمة وإنما يجب أن تنتظر حتى يقدم إليها الاسم طبقاً لأحكام مؤسسة نوبل

٢ — لا يشترط من جهة المبدأ أن تترجم مؤلفات الترشيح للجائزة ، لأن بالأكاديمية السويدية خبراء في اللغات المختلفة . كذلك لا يشترط أن يكون لهذه المؤلفات جمهور كبير من القراء فقد حدث أن منح الشاعر الفرنسي (مسترال) جائزة نوبل سنة ١٩٠٤ مع أنه كتب مؤلفه بلغة مقاطعة البروفنس وهي لغة يتكلمها عدد محدود جداً من الفرنسيين

٣ — تمنح جائزة نوبل الخاصة بالآداب لمن يصنف مؤلفاً في السنة السابقة للطلب مباشرة يعود بالنفع على الانسانية ويقودها إلى المثل الأعلى ؛ غير أن اختيار هذا المؤلف قد يكون فوق الطاقة لكثرة ما ينشر من المؤلفات الأدبية في كل عام

ولذلك يمكن القول بأن هذه الجائزة أصبحت تمطى مكافأة على إنتاج نوابغ الأدباء في كل حياتهم إذا امتازت بقربها من المثل الأعلى

ميزانية التعليم

خصص لميزانية وزارة المعارف في السنة المالية الجديدة أربعة ملايين و ٣٥٦ ألف جنيه بزيادة قدرها ٣٣٦ ألفاً و ٥٠٠ جنيه تقريباً على ما كان مخصصاً لها في الميزانية السابقة

وفيما يأتي توزيع هذا المبلغ على أنواع التعليم المختلفة

شؤون التعليم — للادارة العامة والبعثات العلمية ٣٢٠ ألف جنيه وللمدارس العالية ٣٧٦ ألفاً ، وللتعليم الثانوي ٧٤ ألفاً وللتعليم الابتدائي للبنين ٦٨٨ ألف جنيه ؛ وللتعليم الفني ٥١٤ ألفاً ولمدارس البنات ٣٨٤ ألفاً والتعليم الأولي مليون و٤٤٢ ألف جنيه وللفنون الجميلة ٤٧ ألف جنيه

الاعانات — وبلغت قيمة الاعانات المقرر منحها في العام الجديد مليون و ١٩٤ ألف جنيه وهي :

٢٦٩ ألف جنيه للجامعة المصرية و ٨٢٦ ألفاً لنفقات التعليم لمجالس المديريات و ٦٥ ألفاً للتعليم الثانوي الحر للبنين ومثلها للتعليم الابتدائي الحر وكانت في العام الحالي ٣٢٥٠٠ لكل منها و ٥٤ ألفاً لمدارس البنات الحرة وكانت ٢٧ ألفاً في العام الماضي و ١٠ آلاف جنيه للمدارس الأولية الحرة و ٨٥٠٠ جنيه للمدارس الصناعية والملاجيء و ٢٥٠ جنيهاً لمدارس الصناعات الحرة النسائية و ١٥ ألف جنيه للجنة الأهلية الرياضية البدنية ومثلها للفرقة القومية للتمثيل و ٤٨٠٠ جنيه للمدرسين الصناعيين بالاسكندرية و ٣٥٠٠ جنيه لدار الكتب الملكية و ٦٥٠٠ جنيه لدار التمثيل الملكية و ٢٠٠٠ جنيه لجمعية محبي الفنون الجميلة

و ٢٣٣٠ جنيهاً للمدرسة الفاروقية البحرية و ١٥٠٠ جنيه لكل من الجمعية الملكية الجغرافية والمجمع العلمي المصرى و١٢٠٠ جنيه لكل من الجمعية الطبية ومرتبات الطلبة فى المدارس الصناعية و ٢٣٠٠ لمعهد الطلبة المصريين بلندن و ٥٠٠ جنيه لكل من الجمعية الرمدية ومعهد التعاون الفكرى وجمعية علم أوراق البردى و ٤٥٠ جنيهاً للجمعية الجغرافية الملكية و ٧٠٠ جنيه إعانة فرقة الكشافة والمرشدات و ٤٠٠ جنيه لكل من معهد التربية الدولى بسويسرا والأندية الفنية و ٣٠٠ جنيه لنادى الألعاب الرياضية و ٢٠٠ جنيه لكل من المجمع المصرى للثقافة العلمية وجمعيتى المعلمين الملكية والموسيقى المصرية ومدرسة جبل سينا والنادى الرياضى المصرى ببرلين وجمعية الفنانين المصريين ومرتبات لطلبة دار العلوم و ٢٥ ألفاً مصاريف المدارس التابعة للسكك الحديدية وخصص لجوائز الطلبة ٩٥٠ جنيهاً علاوة على ٣٠٠ جنيه لجوائز التفوق

ومما يلفت النظر هنا أن الإعانات — على ضخامة المبلغ المرصود لها والذى يزيد على ربع ميزانية المعارف كلها — لم يُنظر فيه إلى ما ينبغى لتشجيع الأدب والتأليف، فليس فيها شىء مقرر لتشجيع ذوى المواهب من المؤلفين ورجال الآداب، على حين تكثر الآلاف لتشجيع الرياضة البدنية والنوادى والجمعيات؛ وتلك ملاحظة نسوقها إلى وزير الأدباء معالى الدكتور هيكل باشا

الثقافة الموسيقية فى مصر

تشتغل وزارة المعارف، باعداد مشروع واسع النطاق، يتجه إلى رفع مستوى الثقافة الموسيقية بصفة عامة، وذلك باقامة دراسات تثقيفية للموسيقيين المحترفين الذين يزاولون تلك المهنة، ينتظم فيها الراغبون فى زيادة ثقافتهم الموسيقية بالمجان. وستكون تلك الدراسات فى إحدى مدارس الوزارة بالعاصمة.

وتلقى تلك الدروس فى مساء يومين من كل اسبوع. وهى دراسات لجميع المواد الموسيقية التى يحتاج إليها رجل الموسيقى فى مزاولة مهنته، وإلى جانب هذا تدرس اللغة العربية والخط

وتقرر أن توزع برامج الدراسة على عامين تعقد الوزارة فى نهايتهما امتحاناً يمنح الفائزون فيه درجة فى الموسيقى

وستشرع الوزارة فى تنفيذ هذه الخطة ابتداء من أول اكتوبر القادم على أن يشرف حضرة مدير ادارة التفتيش الموسيقى بالوزارة على هذا المشروع

الموسيقى العربية للبارون رودولف ديرلانجيه

لا يتلفت أحد منا إلى التراث العلمى الذى خلّفته الثقافة العربية إلا تحسّر على نصيبه من الاهمال. والحق أنّ نواحى جمّة من ذلك التراث أصبحت موضع بحث وتنقيب، إلا أنها لا تظفر بما يليق بها من العناية. وفى مقدمة تلك النواحى الموسيقى.
على أنى لا أجهل أن نفراً من المشتغلين بالموسيقى عندنا مثل الأستاذ كامل الخلعى والأستاذ منصور عوض راحوا ينظرون فى بعض أوضاع الموسيقى العربية بدراية، كما أنى لا أجهل أن فئة من المستشرقين كتبوا رسائل عالجوا فيها تاريخ الموسيقى العربية وخصائصها، أذكر منهم: Kosegrten و Saloadar و Daniel و Collangettes و Carra de Vaux و Massignon ولا سيما Farmer.

ولكنّ النظر فى أوضاع الموسيقى العربية والالمام بتاريخها وخصائصها لا يزالان على شىء من الاضطراب. ذلك بأن المصادر العربية الخاصة بالموسيقى تكاد تكون كلها مطوية. وأعنى بالمصادر هنا تلك التى أجراها أصحابها على الطريقة العلمية. وأما المصادر الأخرى وعلى رأسها كتاب الأغانى لأبى الفرج فإنما تسوق الأخبار المتصلة بالموسيقى وإن اندست فى تلك الأخبار مصطلحات وفوائد علمية

والحاصل أنّ فى نشر أمّات تلك المصادر خيراً وأن فى بحثها بحثاً مطرداً فائدة جليلة. كل هذا لم يفطن له معهد الموسيقى العربية القائم فى مصر لأنه بينه وبين العلم الخالص أشياء، ولكن الذى فطن له رجل أجنبى عنا هو: البارون رودولف ديرلانجيه رحمه الله
وضع البارون خطة سديدة إذ رأى أن ينقل المؤلفات الجليلة إلى اللغة الفرنسية ثم يلحقها بمجمل شامل بعرض نواحى الموسيقى العربية علماً وعملاً.

وقد ظهر المجلد الأول من هذه المجموعة سنة ١٩٣٠ مطوياً على الجزء الأول والثانى من «كتاب الموسيقى الكبير» للفارابى وهذا المجلد الثانى فيه الجزء الثالث من كتاب الفارابى ثم رسالة فى الموسيقى من كتاب «الشفاء» لابن سينا. ويتناول الجزء

الثالث من كتاب الفارابي التأليف الموسيقي من لحن وإيقاع وقرع ومن الجموع الكاملة والناقصة والمتلائمة والمتنافرة . وأما رسالة ابن سينا ففيها مباحث في الصوت وسببه وثقله وحدّته ، وفي الأبعاد وتقسيمها وتجزئتها وتضعيفها ، وفي الايقاع وفي الشعر وأوزانه

ثم إن في ختم هذا المجلد حواشي يشرح فيها بعض المتويات ويلوّح فيها إلى الأصول اليونانية

وعسى أن يواصل أصحاب البارون درلانجيه وأعوانه نشر المجموعة ، فالعالم العربي المهذّب يرقب رسائل الكندي صفيّ الدين وعبد الحميد اللاذقي وغيرهم . ولا يفوتني أن أرغب إلى من سيتم نشر المجموعة أن يعمل كتاباً قائماً برأسه يثبت فيه المصطلحات الموسيقية الواردة في التآليف العربية مع ما يراد منها في اللغة الفرنسية حسبما نقل . وفي ظني أنه يبذل بهذا مالا ينهض به شكر؛ ذلك بأن اللغة العربية لهذا العهد مفتقرة إلى التعابير الفنية والاصطلاحات العلمية

بشر فارس

الفلم المدرسي ونصيب مدارسنا منه

يرجع الفضل في استخدام السينما في المدارس إلى المستر بروس وولف بعد الحرب الكبرى مباشرة (١٩١٩) حين وضع — بمساعدة زوجته — أفلامه المدرسية الناجحة : معركة جتلند بين الأسطولين الانجليزي والألماني ، وغزو اللنبي لفلسطين ، والحرب بين آلهة الخير وآلهة الشر Armageddon ... الخ وقد لقي المستر وولف من إقبال المدارس وتعضيد الحكومة ما جعله يبتكر من الأفلام ما هو الآن ضرورة من ضرورات الحياة المدرسية في انجلترا . بل لقد عظم أثر هذه الأفلام لدرجة أنها توجه التعليم وجهات خاصة في بعض الأحيان . وقد كان أول أفلام مستر وولف فلماً مساحيًّا على السطوح والدوائر والمثلثات ... الخ . وبالطبع لم ينجح هذا الفلم ولذا آثر الأفلام الأفلام الجغرافية والتاريخية بعد ذلك . وقد أشرنا في هذا الباب إلى الفلم التربوي الذي قامت به شركة الفحم الانجليزية والذي كان له أكبر الأثر في تحسين أسلوب المعيشة والتربية في البيئة الانجليزية هذا في انجلترا ... فماذا عندنا في مصر ؟ لقد كانت وزارة المعارف تحض على استعمال السينما في المدارس ، فأين هي الأفلام المدرسية التي عرضت ؟ لقد قامت وزارة الصحة بعرض بعض الأفلام السقيمة للتنوير العام ، فلم يكن لها أي أثر ، وهكذا صنعت وزارة الزراعة ... ولسنا ندري ماذا يمنع وزارة المعارف من إلقاء مهمة إخراج أفلام مدرسية على عاتق ستوديو مصر على أن يعاونه معهد التربية في ذلك ... إنها بهذا تفتح حقلاً جديداً لاستوديو مصر وتضمن الأفلام التربوية الناجحة للمدارس المصرية

شذوذ العبقرية في الهند

في الأنباء البرقية أن السيدة سوباروايان قد انتخبت نائبة في البرلمان الهندي عن مدينة مدراس ... ومنذ شهرين كانت تزور مصر إحدى الزعيمات الهنديات فلم يمنعها زهوها الوطني أن تعير نساءنا المصريات بتخلفهن عن أخواتهن الهنديات في مضمار الحياة ، لأن المرأة الهندية قد نالت من الحقوق المدنية ما لا تزال المصرية تحلم به وتعتبره طوبى ! وقد منع كرم الضيافة السيدة المصرية من الرد على الزعيمة الهندية ... ونحن من جانبنا لا نجعل لنهضة المرأة الهندية تلك الأهمية التي تصورتها لها زعيمة الهند ، ولا يمنعنا من التمسك بهذا الحكم انتخاب السيدة سوباروايان للبرلمان الهندي . ونحن إنما نستند في رأينا إلى التقاليد والعادات والمعتقدات الهندية نفسها . فالمرأة الهندية تشارك الرجل في التطهر ببول البقر وتقديس البقرة كما تشاركه في إذلال الأنجاس وتفضيل الفيران عليهم . وقد كان خيراً للهند ألف مرة لو عملت نائبة مدراس في محاربة الآفات الهندية ولم تقحم نفسها في الميدان السياسي ... وتعليل هذا بسيط ... فالبيئة الهندية مشهورة بالشذوذ ولا سيما في خلق العبقرية ... فالهند الفقيرة المجدبة من الثقافة قد أعطت العالم رجالاً أفذاذاً عبقريين في ثقافتهم وفي عملهم كالشاعر المسلم المرحوم إقبال والشاعر الهندوكي طاغور والمرحوم أجادير بور العالم النباتي ... ثم السياسية سوباروايان ، ومن أجل ذلك فنحن متفائلون جداً بنهضة المرأة المصرية ولو لم تدخل البرلمان

تركيا والاسلام

أدلى السيد اسماعيل ولي الله الصحفي الهندي والمحرر بجريدة « انديان نيوز » التي تصدر في دربان بجنوب افريقية الى جريدة

« جمهوريت » لدى عوده الى بلاده بما يأتي : « قبل أن أحضر الى بلادكم طفت ببلاد العرب ومصر وسورية . وقصدي أن أعرف بتركيا العالم الاسلامي في الشرق بحيث أقوم الرأي الخاطئ الذي كونه عنها . لقد اقتنعت كل الاقتناع منذ اليوم الأول لوصولي الى مدينتكم بأن الأتراك — على نقيض الدعايات السلبية التي راجت عنهم في العالم الاسلامي — لا يزالون مسلمين كما كانوا في الماضي ، وإنكم مع محافظتكم على إسلامكم قد كيفتم أنفسكم وفق مقتضيات الحضارة الاوربية . وانا لنرجو أن يجرب جميع مسلمي الشرق هذه التجربة التي نجحت فيها تركيا . ان عدد مسلمي جنوب افريقية يبلغ ١٢ مليون نسمة منهم ٨ ملايين من أهل البلاد الاصليين ومليونان من الاوربيين و ١٥٠٫٠٠٠ من المسلمين . أما الباقون فصينيون ويابانيون وأفراد من أجناس مختلفة . وينقسم المسلمون الى فريقين احدهما فريق المسلمين الهنود أمثالنا الذين يقطنون البلاد منذ ستين عاما . والآخر هو فريق المسلمين المولودين في جاوا — وهذه المناطق سريعة التقدم وأهم انتاجها الذهب . ويعني المسلمون الهنود بالتجارة ويمارسون المهن الحرة

ونحن مسلمي جنوب افريقية الهنود نشعر نحو تركيا بحب عظيم، ومرشدكم العظيم أتاتورك شخصية عظيمة يعجب بها العالم أجمع . ولقد ظهرت في جريدتنا عدة مقالات عن زعيمكم العظيم . وإنا لعظيمو الارتياح نحن المسلمين الى ما أحرزته تركيا من أسباب التقدم . وآمل أن يحقق وطنكم لنفسه حياة رغيدة . إن هذه أول مرة وطئت فيها أرض تركيا والأثر الذي خلفته في نفسي هذه الزيارة هو أن الجميع هنا يعملون بنشاط ولا يتمرغون في حمأة الخمول كما كانت الحال في عهد السلطنة

كتابان فرنسيان عن مصر

نال المسيو جان مازويل الاستاذ بالجامعة المصرية المدالية الفضية من الجمعية الجغرافية بباريس وجائزة الكستدر اكان للكتابين الذين تقدم بهما الى « السوربون » ونال بهما لقب الدكتوراه. وهذان الكتابان يدوران حول بعض المسائل الجغرافية الطبيعية والاقتصادية المتعلقة بمصر إبان حكم والى مصر الكبير محمد علي باشا ، وقد بحث المسيو مازويل في أول هذين المؤلفين عن الاكتشافات العظيمة في صحراء العرب وبلاد النوبة، وتكوين برزخ السويس وأعمال الري والصرف وقناطر الدلتا ودرس في مؤلفه الثاني زراعة قصب السكر وأنواع السماد ، كما تحدث عن السكر في مصر من الناحية الاقتصادية وأظهر الدور المهم الذي يؤديه محصوله

تصويب

كتب (أستاذ جليل) في العدد السالف من الرسالة ، ينبهني إلى خطأ وقعتُ فيه عند الحديث عما كان بين الرافعي والعقاد حول مقالة الرافعي عن شوقي في المقتطف سنة ١٩٣٢ ؛ والصواب ما قال الأستاذ الجليل ؛ فإن مدار الحوار بين الأديبين كان حول تخطئة الرافعي لشوقي في رفع جواب الشرط من قوله :

إن رأتني تميل عني كأن لم ... يك بيني وبينها أشياء

وكان ردّ الرافعي على العقاد — لتقرير هذه المسألة من مسائل النحو عندما يكون فعل الشرط ماضيا ، وفي هذا الرد كان ما كان من رأيه في المتأخرين من علماء النحو .

ولقد نبهتني كلمة الأستاذ الجليل إلى شيء كنت أُنسيته ؛ ذلك أن تخطئة الرافعي لشوقي في الابتداء بالنكرة من قوله :

ليلى ! منادٍ دعا ليلى فخفّ له ... نشوانُ في جنبات الصدر عربيد

لم تكن مما كتبه للمقتطف ، ولكنه نشرها في عدد يناير سنة ١٩٣٣ من مجلة (أبولو) في الرد على الأستاذ علي محمد البحراوي في مقال تناول به مقاله للمقتطف عن شوقي ؛ ثم كان جدال بين الرافعي وأديب من أدباء العراق حول تخطئة شوقي في هذا التعبير ، وتنقل هذا الجدل حيناً بين أبولو والمقطم ...

هذا صواب ما اشتبه عليّ عند رواية هذا الخبر، أشكر للأستاذ الجليل أن نبهني إلى إثباته ؛ وعذري في هذا الاشتباه أن الجدال في هاتين المسألتين كان يدور حول محور واحد ، هو مقالة الرافعي في المقتطف ، فاختلط في ذاكرتي شيء بشيء . . ؟

محمد سعيد العريان

شكر واعتذار

استدرك الصديق الدكتور ناجي على كلمتنا عن هوكسلي بعض مآخذ سماها أخطاء ، وكان قليل جداً من حسن التفات الصديق يكفي لإدراك أن ما ندّ قلمنا فيه جاء عن طريق السهو ، فقد وضعنا أليس مكان جويس في الاشارة إلى قصة أوليسز ، وقد

كتبنا عن هافلوك أليس وجيمس جويس أكثر من عشرين نبذة فى بابى (من هنا ومن هناك) و (البريد الأدبى) وكتبنا عن أوليسز لجويس أكثر من مرة ، ومن الأعداد التى نذكرها فى ذلك (١٥٠ — ١٥٣ — ١٥٤) وذلك عقب نشر القصة .

أما أن هوكسلى هو حفيد هوكسلى الكبير أو ابنه فما ذكرت هو الذى أعرفه ، وقد تحدثت فى ذلك بينى وبين الصديق الكبير الأستاذ سلامة موسى فأقنعنى أنه ابن هوكسلى الكبير وليس حفيده ، وتشبث بذلك فأثبته فى كتابه القيم (فى الأدب الانجليزى الحديث ص ٩٣) فقد ولد هوكسلى الكبير سنة ١٨٢٥ وتوفى سنة ١٨٩٥ ، وقد نيف هوكسلى الصغير على الخامسة والأربعين ومن هنا كان اقتناعى بما ذكر الأستاذ سلامة ... على أن ملاحظة الدكتور قد أثارت فىّ فضولا غريباً جعلنى أكتب إلى ألدوس هوكسلى أسأله فى ذلك (!!)

أما كتاب رقصة الحياة فأكبر ظنى أنها غلطة الصفاف (المحترم) الذى جعلنى مرة أقتل ولدًا لأن حضرته أغفل سطراً بأكمله فأوقعنى بغفلته فى (شر أعمالى !)

ولكن يا دكتور ناجى ! لى رجاء بعد ذلك ... هل تتفضل بتسجيل ملاحظاتك الأدبية القيمة على صفحات الرسالة بالنيابة عنى حتى يأذن الله بشفائى مما أصبت به وسأستشيرك فيه !

الشاكر لك

صديقك المجهول

حول كلمة «هال . ها»

سيدى الأستاذ الفاضل محرر الرسالة

قرأت فى عدد الرسالة الماضى قصيدة «انبعث» وقد أعجبنى استيعاب الشاعر محاسن الربيع ومناحى الجمال فيه كما طربت لقوة مبناها وغناها باللفظ الجميل كما يَغْنَى الربيع بالورد الناضر والزهر الباسم . إلا أنه لفتتنى فيها كلمة «هال . ها» وتعليق الشاعر الفاضل عليها بأنها كلمة نداء مرحة ابتدعها الأستاذ أبو حديد وتقوم مقام كلمة Sdeigh-Sdo الانجليزية ، وأخشى أن هذا التعليق بعيد عن الصواب . فالكلمة الانجليزية ليست نداء مرحاً وإنما هى تعبير يقال عند خيبة الأمل أو انكسار النفس من الحزن أو الأسف أو ما إليها

على أن ابتداع الأستاذ الفاضل أبى حديد لكلمة «هال . ها» لتقال فى معرض المرح لم يبلغ من التوفيق ما يجيز استعمالها فى هذا المعنى . فكلمة (هال) تقال لزجر الابل ، وذلك بعيد عن المعنى الذى يقصده الشاعر

والله يحفظ السيد الجليل محمد عبد الغنى حسن

تاريخ الأمة المصرية

أثنى المسيو جابريل هانوتو فى الأكاديمية الفرنسية على الجزء الرابع من كتاب «تاريخ الأمة المصرية» وهو الذى ينشره برعاية جلالة ملك مصر

وقد خصص هذا الجزء للفتح العربى من سنة ٦٤٢ ميلادية إلى الفتح العثمانى فى سنة ١٥١٧ وهو من تأليف المسيو جاستون فييت مدير الآثار العربية فى القاهرة



الاسلام في العالم*

تأليف الدكتور زكى على

مؤلف هذا الكتاب من الشبان القلائل الذين عرفوا بالانكباب على معالجة الشؤون والمشاكل الاسلامية ، يعالجها طوراً بالكتابة فى صحف الشرق والغرب ، وآونة بالخطابة على المنابر فى الجامع . ولطالما قرأ له المصريون كثيراً من المقالات القوية فى الصحف العامة تنبىء عن اهتمامه القوى بهذه الناحية . والمؤلف إلى جانب اهتمامه بالناحية الاسلامية « طبيب » دقيق النظرة . ولقد ظهر أثر تفكيره العلمى الصائب فى كتابه الذى أخرجه هذا الشهر وهو : Islam in the World والذى يعد محاولة طيبة من الدكتور زكى على ، له الجزاء الأوفى عليها

ولقد أوضح المؤلف في مقدمته الدافع على ذلك فقال : « فى سنة ١٩٣١ غادرت مصر إلى أوربة لأول مرة فى بعثة طبية وقد كنت موظفاً كطبيب امتياز وطبيب تخدير فى مستشفى قصر العينى بالقاهرة ... ولم أكن أتوقع أن ستلح علىّ رغبة عنيفة لمسائل أخرى غير الطب ... غير أنى اكتشفت أن فى أوربا جهلا مطبقاً وعدم إدراك للاسلام . ذلك الدين الذى أومن به ، وألفيت أن العلاقات بين الغرب والعالم الاسلامى فى حال من المرض الشديد تستأهل بحث أسبابها ومعالجتها » ولم يحاول المؤلف أن يأتى بآراء جديدة فى سِفْرِه هذا ، ولم يعمد إلى محاولة ذلك عمداً ، بل لقد ذهب يعرض آراء الغربيين عرضاً دقيقاً ويستخلص من ثنايا كتاباتهم عن الاسلام ما يدحض به كل شبهة تحاك فى نفس أحدهم ، فهو يرى أن النظام الدينى والاجتماعى فى الاسلام ليس بالضيق أو ما يُشتَمّ منه ريح التزمّت والجمود ، بل إنه فى جوهره مرن ، كما أنه يعمل على النهوض بالحياة الانسانية

ويستعرض المؤلف فى كتابه هذا حياة الرسول لأنه يرى أن لا بد لدراسة هذا الدين وتفهّم مراميه من تفهم حياة صاحبه ، وتلك هى الطريقة التى سار عليها سير أرنولد فى كتابه Preaching of Islam فلقد مهد لانتشار الاسلام بفصل عن «محمد كداعية» وفائدة هذا أن يربط القارىء بين المظاهر العامة والذاتية فى حياة الرجل الذى حمل عبء الرسالة وأداها صادقاً أميناً ، وكان فى حياته الخاصة والعامة المثال الكامل للانسان الفاضل ، والصورة الواضحة الحق للرسول والنبى المبعوث ، وما كان ينطق عن الهوى (إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى)

ثم يعرض المؤلف للاسلام من حيث هو دين ونظام اجتماعى يربط بين الطبقات ويوحد بينها ويتجه بمراميها إلى الغاية المنشودة من الرسالة ، ولقد كتب أحد المستشرقين مرة يقول « إن حياة الشرق تتمثل فى كتابين لاثالث لهما ، أما أولهما فالقرآن ، وأما ثانيهما فكتاب ألف ليلة وليلة » ... كذلك يتجلى طابع الاسلام الحق وجوهره الخالص من كل زيف أو شائبة فى القرآن وهو « كتاب اصطلح على مبادىء القانون الاسلامى العام : فهو قانون لدين اجتماعى مدنى تجارى حربى فقهى خلقى تشريعىّ سياسىّ؟ وهو بعد ذلك كتاب له تأثيره الدائم على أذهان المؤمنين الذين هيهات أن يتنكب بهم الطريق لو أنهم ثابروا على اقتفاء خطاه وأوامره ، وليس فى هذا الكتاب ماينافض العقل » بل إنه ليشجّع الاجتهاد والتخريج . ثم يعرض المؤلف للجهاد (ص ٣٣) فيرى أنه حرب دينية دفاعية ، والجهاد شرعا الحرب في سبيل الدين والذب عن حياضه ، وادخال القوم الجاحدين به فى شريعته .

* Islam in the World ، طبع فى لاهور بالهند (١٩٣٨) ، مكتبة الشيخ محمد أشرف فى سوق كاشميرى

ويتناول الدكتور زكي نظام الحكومة والدولة في الاسلام وهو من النواحي الهامة في تاريخ هذا الدين كان له أثره البعيد في آسيا وأفريقية ، فيتعرض للجزية والزكاة والخراج ، وهي الأسس الاقتصادية التي تقوم عليها الحكومة في الدول الاسلامية ، ويرى المؤلف أن الجزية ليست ضريبة تستؤدى من أهل الذمة كعقاب لهم بل إنها كانت نظير القيام على حفظ حقوقهم وبدلا من قيامهم بالخدمة الحربية المفروضة على كل مسلم (ص ٥٥) ، وان مرى النظام الاسلامي وغايته ومجهوده أن يمد يد العون للنوع البشري ليوفر له أسباب الراحة الروحية ، ويرقى به في سبيل الكمال والسعادة .

ومن الفصول القوية التي دبجها الدكتور زكي على فصله عن تطوّر الاسلام Ovolution of Islam ، وهو يلمّ فيه بما انتاب الاسلام والمسلمين من أهوال جسام في عصور التاريخ المختلفة ، فلقد اشتدت عداوة المغول له فقاموا بتدمير مراكزه الكبرى في قسوة لم يعرف التاريخ لها مثيلا حتى ليكاد ينكرها من يقرأها بعد حدوثها كما يقول ابن الأثير ، وإن الدارس لتاريخ المغول في الشرق والماليك في مصر ليرى هذه الضراوة الشديدة من ضراوة التتر ومحالفتهم لدول الغرب المسيحية للقضاء على الاسلام ممثلا في دولة الماليك ، ولم يخفف من حدتهم هذه اسلامهم .

وكذلك انتابت الاسلامَ أخطارٌ جمة تعرّض لها فكان ذلك الصراع العنيف بين الشرق والغرب ، يدفع كلا الجانبين حماسة دينية وتعصّب مُلِح ، وهذا هو المعروف بالحروب الصليبية ، فلقد امتشق فيها الغربُ الحسام ضد الشرق والاسلام واتحدت شعوبه المتنافرة تحت الصليب تدفعها من الخلف حينا روح دينية ، وأحيانا كثيرة تحقّها المطامع السياسية ، ولكنها في كل ذلك تلبس مسوح الدين . ويرى بعض الكتاب أن هجوم التتر وتدميرهم الخلافة العباسية في بغداد انما هو ضرورة اقتضتها حياة القوم فلقد انغمروا في بلهنية من العيش وأُغــرقوا في اللذات ورفاهية المـادة ، فكان تجديد الاسلام بتدمير هذه الحضارة وإقامة أخرى مكانها وزعيم هذا الرأي الكاتب الفرنسي Cahun ومهما يكن من صواب رأيه أو خطله فإن الحقيقة الواضحة هي أن الاسلام لم يَـفْـنَ بعد هذا الهجوم بل تجدّد وعاد قويا

أما دراسته عن « الاسلام في الغرب » فيعرض فيها لآراء الكتاب الأوربيين أمثال رينان وولسون كاش وأرنولد وكريمر ويظهر في تضاعيف هذا الفصل ما انطوت عليه نفس الكاتب من حماسة بالغة للإسلام خرجت به أحيانا من موقف العرض إلى الدفاع ، فأكرم بهذه الروح التي أملت عليه ما أملت من نقاش ودفاع كريمين . وبهذا الفصل يختم المؤلف الفاضل القسم الأول من كتابه وقد خصصه للتعريف بالاسلام ثم ، يليه القسم الثاني والأخير منه وهو دراسة تحليلية للنواحي الفكرية في الاسلام ومستقبله في العالم كدين وكنظام اجتماعي وسياسي ، وهو ينظر بعين الرضـا والاطمئنان للحركة التجديدية في الأديين الفارسي والتركي وما يترتب عليهما من إحياء الماضي الحافل بصور المجد والعظمة

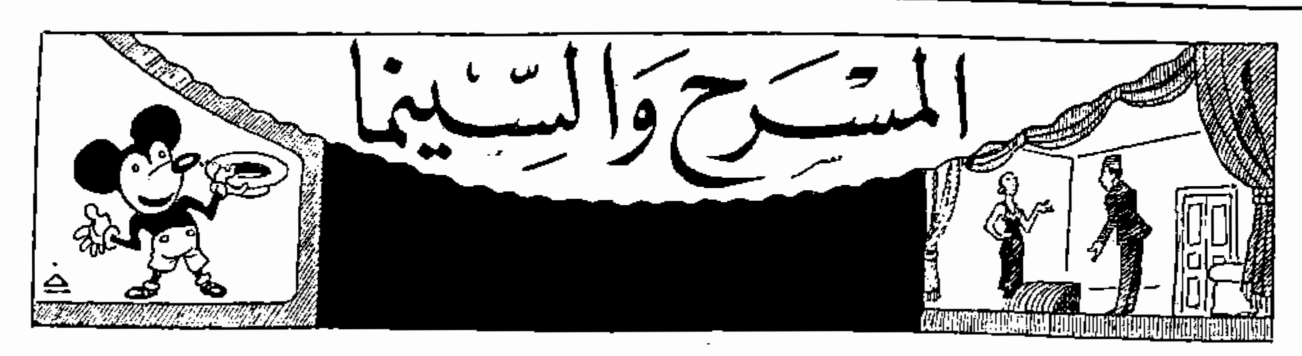
ويختم المؤلف كتابه بدراسة قيمة عن (الاسلام في العالم) فيرى أنه لا يستطاع الفصل بين السياسة والدين فيــه بل إنهما ليتعاونان معــاً في ميادين الاستقلال الاقتصـادي والسياسي والاجتماعي (ص ٣٩٧) ويضرب المثل على صحة هذا بالملك العظيم ابن سعود فلقد نجح في إقامة دعائم مملكته على أسس مستمدّة من القرآن والسنة ، حتى لقد أصبحت الحجاز اليوم حكومة رشيدة قوية محترمة ، وفي ذلك أبلغ دليل على تعاون السياسة والدين وعدم تضاربهما ، على عكس الواقع في الغرب حيث لا يستطاع — بحال من الأحوال — التوفيق بين الدولة والكنيسة .

ويتساءل المؤلف في ختام بحثه هــذا : هل يمكن إيجـاد التعاون والتوفيق بين الاســلام والغرب ؟ ... ونظرته لهــذه الناحية نظرة المتفائل ؛ ويذهب مدللا على رأيه هذا بحجج بعضها في حاجة إلى نقاش وإن كانت تنتهي أخيراً إلى الموافقة على رأيه .

* * *

وبعد فهذا عرض موجز لكتاب ألفه شاب مصري أوقف جهده وقلمه وتفكيره على ناحية يستأهل من أجلها شكر الشرقيين والناطقين بالضاد في كل صقع وناد بلا تفرقة بين الملل والأديان ، ذلك لأن الشرق اليوم هو العالم الاسلامي

حسن حبشي



عصر السرعة والأعصاب المكدودة

وأثره في الإنتاج المسرحي والسينمائي

اشتهر هذا العصر بأنه « عصر السرعة » ومن علاماته المميزة — وقد تكون إحدى النتائج القريبة لهذا الوصف — توتر الأعصاب



فالبنية الانسانية طاقة إذا أجهدت تنبهت أعصابها وأرهقت واشتدت قابليتها لكل مؤثر، ومن مجهدات الأعصاب في هذه الأيام تعدد المطالب التي لم تجعل حداً لحاجات الناس بل أطماعهم، وكثرة الأزمات في شتى نواحي الحياة، وترقب الحروب والانقلابات يوماً بعد يوم، وضعف الوازع الأدبي بفضل أخلاق الساسة ومعاملات الدول بعضها لبعض وعدم احترام التعهدات والوعود، وتهديد البطالة لكل آمن أو شبه آمن، وتفشى المخدرات والأمراض، وكثرة الضوضاء، وعدم الاستقرار، وتسلط المادية ... الخ

كل هذه الأمور أفقدت النفس مساكها والأعصاب احتمالها وظهر أثر ذلك في جميع مرافق الحياة

ففي الشارع — كثيراً ما يقابل المرء أناساً وجهاء وغير وجهاء يتحدثون إلى أنفسهم بصوت مسموع، ويضحكون من غير دافع إلى الضحك، ويشيرون بأيديهم إشارات لا تصدر إلا عن مخبول أو مذهول

وفي المرقص صدف الناس عن الرقص التصويري الشعري وأفتنوا في الرقصات التوقيعية العنيفة

وفي الملعب ازدادت أحابيل المشعوذين، ومارسوا كل عمل شاذ لا يكاد يخطر على عقل سليم

وفي المعرض — تقدمت الرسوم « الكاريكاتيرية » لأنها الوسيلة الوحيدة لرسم الأفكار الخاصة التي لا تظهر في الطبيعة

وفي الموسيقى لم تفلح الآلات الوترية الهادئة في هذا الجو الصاخب المخمور حيث أفلحت آلات « الجاز » العنيفة المدوية

وفي المكتبة اختفى الكتاب الجيد بين آلاف من الكتب الفارغة التي استعصى على أصحابها عمق الفكرة فسبحوا على قشورها

والمسرح والسينما قد ظلا صورة حسنة لهذا العالم ينقلان أحسن ما فيه، ويقدمان له المثل الصالح الممتاز

ولكن هذه النزعة المجنونة قد بدأت تؤثر فيهما وتفسد عليهما رسالتهما السامية

ازدادت في الأيام الأخيرة الأفلام من نوع :

My Mon Godfrey, Theodora Goes Wild
The Auful Truth, Woman Chases Man
Easy Living, Panger-Love At Worla
Nothinq Saered, True Confession

وكل هذه أفلام تدور إما حول عائلة كل أفرادها مجانين أو رجل غير مكاب أو امرأة مطلقة البدوات، أو فكرة لا يمكن أن يبتكرها غير امرئ مخدر الأعصاب مخمور

وموضع الخطر في هذا الأمر أن هذا النوع من الأفلام هو أكثرها نجاحاً اليوم

ونحن لم نشهد آخر المسرحيات فى أمريكا وأوربا ، ولكن المتتبع للحركة المسرحية فى هذه البلاد يعرف أن هذا الخطر بدأ يدب فى المسرح كذلك ، وأن البيئة الأدبية بدأت تتحول نحو بعض المؤلفين الذين يستطيعون هذا النوع من الكتابة ، ولم يبق هنالك أى حرج فى استعمال بعض الاصطلاحات التى اقتضاها هذا التجديد ؛ فكلا المؤلف والناقد يقول :

Hysterical Comedy, Crazy Comedy . أى ملهاة جنونية ، ملهاة هستيرية

وإذا تعذر علينا أن نشهد هذه المسرحيات فإننا نعرف شيئاً عنها مما يحمله البريد . وقد يسهل أحياناً تكوين الفكرة من معرفة العنوان . فمن أسماء بعض هذه المسرحيات التى لقيت نجاحاً عاصفاً فى كلا أمريكا وانجلترا فى السنوات الأخيرة Whoopee . Room Service, Three Men OM A Horse . وأخيراً Idiot's Delight, Oh Letty

وتقدم القوم خطوة أخرى فافتتح بعض الأمريكيين أخيراً مسرحاً لتمثيل الروايات المسرحية التاريخية القديمة كروايات شكسبير بالملابس العصرية .

أما فى السينما فلا يحوجنا الدليل على صدق ما نقول . فاننا نشهد معظم الانتاج المالى فى السينما . ويمكننا أن نعمل احصاء طريفا فى هذا الموضوع . فشركة كولومبيا تعتبر أولى الشركات تقدما فى ابتكار أنواع الخبل ، وجريجورى لا كافا ، ليوماك كارى ويلى رجلز ، ميتشل ليش ... أبرع المخرجين فى ادارته . أما ممثلوه فكثيرون ، أشهرهم كارول لومبار ، ايرين دن ، جين آرثر ميريام هوبكنز ، بت دافيز . ثم جون باريمور ، شارلز لاوتون ، فردريك مارش ، وليام باول ، روبرت مونجمرى (ويلاحظ أن النساء فى المرتبة الأولى) .

وهناك « فرق » من المخبولين أشهرهم الأخوة ماركس والاخوة ريتز والثلاثة المشعوذون مو ، لارى ، جيرى .

هذا غير عشرات من الممثلين الكوميديين الذين لا يكاد يخلو فلم واحد من وجود بعضهم .

وأخيراً لا يسعنا بعد هذا الكلام الطويل إلا أن نرجو ونأمل أن ينتج لنا المسرح والسينما أحسن ما فى هذا العالم ويدعا أسوأ ما فيه

محمد على ناصف

طبعت بمطبعة الرسالة بشارع المهدى رقم ٧